جامعـــة الأزهـــر
كليـــة أصـــول الديـــن
والدعوة الإسلامية بالمنوفية



الآريوسية ووقعها في النصرانية

الدكتور

أســـامة أبو زيـــد علي أبو زيـــد

الأستاذ المساعد بكلية التربية - قسم الثقافة الإسلامية
جامعة جازان — المملكة العربية السعودية

مستلة من
حولية كلية أصول الدين والدعوة بالمنوفية
العدد السادس والثلاثون، لعام ١٤٣٨هـ/٢٠١٧م
والمودعة بدار الكتب تحت رقم ٢٠١٧/٦١٥٧

دار الأندلس للطباعة-أمام كلية الهندسة-عمارات الزراعيين-شبين الكوم ت ٠٤٨٢٢٢٢٠٩٠

مقدمة

الحمد لله الواحد الأحد الفرد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد، وبعد فقد أرسل الله رسله بالتوحيد الخالص ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيۡهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدُونِ ٢٥﴾ [الأنبياء: ٢٥]، والتوحيد عند النصارى تعرض لمنازعات، أدت لانقسامهم فرقا وأحزاباً ﴿...فَمِنۡهُم مَّنۡ ءَامَنَ وَمِنۡهُم مَّن كَفَرَ... ٢٥٣﴾ [البقرة: ٢٥٣]، ورغم ذلك فلا تزال قلة من علمائهم وعامتهم تنكر تأليه المسيح وترفض عقيدة التجسد والتثليث وتفرد الله بالألوهية والربوبية والأزلية، وتؤمن أن المسيح حادث مخلوق، وحظي الأساقفة الموحدون منهم بآلاف بل عشرات آلاف الأتباع، ولقد مرت النصرانية بمرحلتين:

الأولى: ماقبل مجمع نيقية ٣٢٥م والآخرة ما بعده، واشتهرت بطوائف الكاثوليك والأرثوذكس والبروتستانت، وهناك طوائف تعرضت للتجاهل والتجهيل، رغم كونها أعمق جذراً وأطول عمراً، وهي طوائف الموحدين، وهذا البحث يتناول بالدراسة واحدة منها وهي الآريوسية، التي تعمد معظم كتّاب النصارى إغفالها، رغم قوتها وانتشارها وتجاهلوها عن عمد؛ لأنها طائفة تشهد أن لا إله إلا الله، وأن عيسى نبي الله، وتسميتهم بالآريوسيين راجعة إلى القرن الرابع الميلادي، فقد كان جل المسيحين منذ بعثة عيسى (عليه السلام) يؤمنون بوحدانية الله (عز وجل) ونبوة عيسى (عليه السلام)، إلى أن نشب خلاف بين آريوس – فنسبت إليه – وألكسندر بطريرك الإسكندرية في مسألة طبيعة عيسى، وظهر في هذا الخلاف شماسا اسمه أثناسيوس أيد الكسندر وارتقى إلى سلم البابوية بعد الكسندر، فقام بتغيير ما جاء به المسيح (عليه السلام)، وأدخل كثيرًا من عقائد الوثنية، التي كان يعتقد بها قبل تنصره،

وأدخل الثالوث – على الدين المسيحي التوحيدي – الذي ينص على أن الله ذو طبيعة ثلاثية الأبعاد، كل بعد فيه يساويه، وكل بعد فيه لا يساوي الآخر!.

والثالوث دخيل على النصرانية، تأثروا به إما من ثالوث الفراعنة (أوزريس الأب، حورس الابن، إزيس الأم)، أو من ثالوث الهنود (برهما: الإله، فشنو: المُخلص، سيفا:الروح العظيم)، أو ثالوث الفرس الزردشتي: (الروح الصالحة، الكلمة الصالحة، العمل الصالح)، ووقف آريوس فأنكر ما جاء به المثلثون، بحجة ملخصها أنه لم يرد في الإنجيل كلمة تنص أن المسيح إله، ولم يقل للناس اعبدوني، فنشب خلاف كبير، على أثره تدخل الإمبراطور الروماني قسطنطين الأول وعقد مؤتمرا اجتمع فيه أساقفة النصارى لبحث هذا الخلاف، فكان مجمع نيقية، وظهر رأي آريوس فرفضه قسطنطين – مع أنه لم يكن نصرانيًا وقتها – واعتمد وثيقة إيمان للمسيحين، ونفي آريوس ومن معه، ثم أمر بحرق جميع كتب آريوس وإعدام من يحتفظ بأية نسخة منها، ودخلت النصرانية في مرحلة صراع وتحريف لا تزال مستمرة إلى الان.

ومعرفة تاريخ الآريسوية وغيرها من الفرق الموحدة يوضح معنى قوله (ﷺ) "إن الله نظر إلى أهل الأرض فمقتهم عربهم وعجمهم إلا بقايا من أهل الكتاب"[1]، وقوله (ﷺ) أيضا لهرقل: "فَإِنْ تَوَلَّيْتَ فَإِنَّ عَلَيْكَ إِثْمَ

(١) سنن النسائي الكبرى أحمد بن شعيب أبو عبد الرحمن النسائي ٥ / ٢٦ باب قراءة القرآن على كل الأحوال، رقم "٨٠٧٠" دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١١هـ/ ١٩٩١م، تحقيق: د.عبد الغفار سليمان البنداري, سيد كسروي حسن، والمعجم الكبير للطبراني سليمان بن أحمد بن أيوب أبو القاسم الطبراني، حديث رقم= ="٩٨٧"، من حديث عياض بن حمار المجاشعي، مكتبة العلوم والحكم – الموصل الطبعة الثانية، ١٤٠٤ –

الأَرِيسِيِّينَ"(١).

فقد ذهب العلامة أبو الحسن الندوي الى أن المراد بالأريسيين أتباع "أريوس" المصري بقوله وردت كلمة "الأريسيين أو اليريسيين على اختلاف الروايات غي الكتاب الذي وجه إلى هرقل وحده، ولم ترد في كتاب من الكتب التي أرسلت إلى غيره، وهنا يتساءل القارئ الفطن إذا كان المراد من "الأريسيين" الفلاحون، كان "كسرى أبرويز" إمبراطور إيران أحق بأن يحذر من وقوع إثمهم ومسؤوليتهم عليه، وبأن ترد هذه الكلمة في الكتاب الذي كتب إليه، فإن طبقة الفلاحين كانت أعظم

١٩٨٣ تحقيق: حمدي بن عبدالمجيد السلفي، جامع الأصول من أحاديث الرسول ١١/ ٧٤٨ حديث رقم "٩٤٤٥".

(١) صحيح البخاري، باب كيف كان بدء الوحي رقم " ٧"، البخاري محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي، دار ابن كثير، اليمامة – بيروت، الطبعة الثالثة ١٤٠٧هـ / ١٩٨٧م، تحقيق: مصطفى ديب البغا، صحيح مسلم، باب كتاب النبي إلى هرقل رقم "٤٧٠٧"، أبو الحسين مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري النيسابوري، دار الجيل بيروت، دار الأفاق الجديدة . بيروت، قال ابن حجر في الفتح[١ / ٣٩] قوله: الأريسيين، جمع أريسي وهو منسوب إلى أريس بوزن فعيل، قال ابن سيده الأريس الاكار أي الفلاح، والأريسيون العشارون يعني أهل المكس والأول أظهر.

وقال النووي: واختلف في ضبطه على أوجه أحدها: بياءين بعد السين والثاني: بياء واحدة بعد السين وعلى هذين الوجهين الهمزة مفتوحة والراء مكسورة مخففة والثالث: الإريسين بكسر الهمزة وتشديد الراء وبيان واحدة بعد السين، ثم قال في معناه: قال أبو عبيد ليس المراد بالفلاحين الزراعين خاصة بل المراد بهم جميع أهل مملكته الثاني أنهم اليهود والنصارى وهم أتباع عبد الله بن أريس الذي تنسب إليه الأروسية من النصارى ولهم مقالة في كتب المقالات ويقال لهم الأروسيون [شرح النووي على مسلم المسمى بـ المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج ١٢ / ١٠٩، أبو زكريا يحيى بن شرف بن مري النووي، دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة الطبعة الثانية، ١٣٩٢].

وأوسع وأكثر تميزاً في المملكة الساسانية الإيرانية منها في المملكة البيزنطية الرومانية، وكان أكثر اعتماد إيران في دخلها ومواردها على الفلاحة وإلى ذلك نبه الأزهري، كما نقل عنه ابن منظور، ولذلك نرجح أن المراد بالأريسيين هم أتباع أريوس المصري وهو مؤسس فرقة مسيحية كان لها دور كبير في تاريخ العقائد المسيحية والاصلاح الديني(١).

منهج البحث: اعتمد على الكتب الدينية والتاريخية، مع ذكر تعليقات علماء المسلمين وانتقاداتهم، وتحليلات رأى البالحث إضافتها، اتماما للفائدة، ودرءا للشبهة، وسعيا للوصول إلى الحق والحقيقة.

وهدف البحث وفكرته تنبني على التأصيل لهذا المذهب والتعريف بهذه الفرقة ذات الأثر في القديم والحديث، والتنقيب عن وقعها في المسيحية وما ترتب عليها(٢).

والدافع لاختياره والكتابة فيه، ما وجده الباحث من اهتمام معظم الدارسين بالكتابة عن تحريف النصرانية، مع أن هناك من تصدى له ووقف ضده، ومنهم الأريسيون، وأن يكون باكورة وبداية لدراسة فرق التوحيد عند النصارى كل فرقة على حده، وتجلية وجه الحقيقة، كذلك حديث رسول الله (ﷺ) السابق ورسالته لهرقل التي ذكر فيها اسم الأريسيين، أثار في النفس الكتابة في هذا الموضوع.

---

(١) السيرة النبوية السيد أبي الحسن علي الحسن الندوي، ص: ٣٠٤، ٣٠٥، دار الشروق جدة الطبعة الثامنة، باختصار، وذهب إلى هذا قبل الندوي الدكتور محمد معروف الدواليبي في بحث قيم له اسمه أريسيون من جديد، ص ٦٨ إلى ٨٣.

(٢) وردت في البحث أسماء ومصطلحات كثيرة عرفها الباحث بما لا يخل بالبحث ولا يزيد من حجمة وترك البعض تجنبا للإطالة، وحتى لا ينشغل القارئ عن فكرة البحث، ولا تتشعّب الحواشي.

مفردات عنوان البحث:

الآريوسية: تنسب إلى آريوس بن أمونيوس (٢٧٠ – ٣٣٦ م)، الليبي المولد المصري الجنسية، درس اللاهوت – العقائد– في مدرسة الإسكندرية ثم أنطاكيا، ترقَّى فى خدمة كنيسة الإسكندرية وسامه بطرس، بابا الإسكندرية شماساً [١]، والبابا أرشيلاوس[٢]، سامه كاهناً وسلمه كنيسة بوكاليا, المطلة على الميناء الشرقى بالمدينة – محطة الرمل حاليا – عام ٣١٤م.

لقب برشيد قومه، كان ذكيا قوياً صلبا، وداعية شجاعاً، وعالما زاهدا متقشفا، يمتلك موهبة الوعظ والخطابة، حارب مقالة ألوهية المسيح؛ وآراؤه يسميها النصارى ببدعة آريوس[٣]، ووصف بأنه: "طويل القامة، نحيل الجسم، مكتئب المظهر، ذا منظر تبدو فيه آثار خشونة العيش، وكان معروفاً بأنه من الزهاد، كما يستدل على ذلك من ملبسه، وهو جلباب قصير من غير كمين تحت ملحفة يستخدمها عباءة وكانت طريقته في الحديث ظريفة، وخطبه مقنعة، وكانت

---

(١) تولى البابوية سنة ٢٨٥م لمدة أحد عشرة سنة، قتل في الأسكندرية، هو وامرأته وابنتاه؛ لامتناعهم عن السجود للأصنام، لقب بخاتم الشهداء [تاريخ الأقباط المعروف بالقول الإبريزي للعلامة المقريزي، ص: ٥٢، تحقيق د. عبد المجيد دياب، ط دار الفضيلة بدون]، والكهنوت أو الرهبانية تنقسم ثلاث مراتب الأولى الشماس، والثانية الكاهن والثالثة الأسقف.

(٢) تولى البابوية سنة ٢٩٥م، وأقام بها ستة أشهر ومات [تاريخ الأقباط للمقريزي، ص: ٥٢].

(٣) كنيسة انطاكية ١/ ١٩٣ أسد رستم، منشورات المكتبة البوليسية بدون تاريخ، الفرق والمذاهب المسيحية منذ البدايات حتى ظهور الإسلام، ص: ٨١، نهاد خياطة، ط دار الأوائل.

العذارى اللاتي نذرن أنفسهن للدين، وهن كثيرات في الإسكندرية، يبجلنه أعظم التبجيل، وكان له من بين رجال الدين عدد كبير من المؤيدين"[١].

ومن هذه الأوصاف يتبين أن كان له قوة منطق تعبر عن آرائه؛ وقبول لدى العامة لمعيشته في الكنيسة واطلاعه على كتبها ومعارفها، وزهده وتقواه تعطي دلالة على إخلاصه وصدقه، لهذا كثر أتباعه ومؤيدوه.

اصطدم بألكسندر أسقف الإسكندرية، واختلف معه حول تفسير نص عبّر عنه بمفهوم يخالف إيمان الكسندر، فرأى فيه مخالفة لاعتقاده بألوهية عيسى (عليه السلام)، أصر أريوس على أن عيسى مخلوق واعتبر أفكار الكسندر سابيلية، فجرده من الكهنوتية، وأعاده اخيلاس عام ٣١٨م[٢]، اتخذ الكسندر قرارا من مجمع الكنيسة، أدان فيه أريوس وأبعده من الكنيسة، فرحل إلى فلسطين ثم سوريا فآسيا الصغرى، ووافقه عدد من الأساقفة، منهم "أوسابيوس أسقف نيقوميديا" اللوكيانى، "وأوسابيوس أسقف قيصرية" الأوريجانى، فبرأوه، وطالبوا بعودته مرة أخرى إلى الكنيسة.

تجمع حوله الناس وكثر أنصاره، في الأماكن التي ذهب إليها فتصاعدت الأزمةُ، وعقد مجمع مسكونى لمحاكمته (نيقيه عام ٣٢٥م)، فلعن وطرد، وفي خريف عام ٣٣٤م استدعى قسطنطين آريوس للمثول بين يديه كي يعيده إلى وطنه، قيل: إن آريوس عين أسقفا على القسطنطينية، وقبل عودته وافته المنية

---

(١)قصة الحضارة ١١ / ٣٩١ ول وايرل ديورانت ترجمة محمد بدران، دار الجيل بيروت، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم بتونس.

(٢)الأسفار المقدسة، د على عبد الواحد وافي، ص: ١٠٢، ١٠٣. دار نهضة مصر، ط الأولى ١٣٨٤هـ/ ١٩٦٤م، السابيلية عبادة الشمس والاوثان تنسب إلى سابيليوس الذي ظهر في روما أوائل القرن الثالث.

سنة ٣٣٦م، وقيل مات مقتولا مسموما، إذ أنه سقط ومات في مرحض عام فجأة ليلة الموعد المحدد لقبوله، وقال خصومه يومئذ إن موته كان معجزة، وشكك البعض في وجود عملية اغتيال له(١)، واعتبروها لغزا محيراً خاصة وأنها لم تكن ميتة طبيعة كما وصفها مؤرخو الكنيسة، له عدة أعمال قليلة عبارة عن رسائل:

الأولى: إلى أسقف نيقوميدية وفيها احتج على تحامل الكسندر، وعرض أراءه في صراحة تامة(٢).

---

(١) يرجِّح د. رأفت عبد الحميد فى بحثه اغتيال آريوس.أنه مات مقتولا، واستند إلى النص القائل: ما إن وصل قرب الكنيسة حتى شعر بمرض مفاجئ، وأحس كأن أحشاءه تتمزق، وهكذا قضى نحبه واستراحت الكنيسة من شره، وقال سقراط المؤرخ الكنسى: أمات الله أريوس في مرحاض عام حيث اندلقت أمعاؤه. [مدخل إلى تاريخ الكنيسة ص ٤١، مجلة كلية الآداب جامعة المنصورة العدد ١٩، الفرق المسيحية نهاد خياطة، ص: ٨٧، ٨٨ . الحوار الإسلامي المسيحي، ص ٣٢٢ بسام داود عجك، دار قتيبة، ط الأولى ١٤١٨هـ / ١٩٩م].

(٢) نص الرسالة [إلى سيدي العزيز رجل الله الأمين الأرثوذكسي أو سابيوس، يسلم بالرب أريوس المضطهد من قبل الأسقف إسكندر بسبب الحق الذي يعلو على الجميع الذي أنت تحامي عنه أيضاً بما أن مونيوس منطلق إلى نيكوميديا رأيت لائقاً أن أكتب لك معه وأخبر المحبة الوطنية والمودة اللتين تمارسهما للأخوة لأجل الله ومسيحه أن الأسقف يضطهدنا كثيرا ويهيج الجميع علينا حتى يطردنا من المدينة كأننا كافرون بالله؛ لأننا لا نتفق معه في إعلانه الجهاري بأن الله أزلي والابن أزلي، وبأن الآب دائما آب والابن دائما ابن وإن الابن من الله ذاته، وبما أن أخاك أوسابيوس القيصري وثيودوتس وبولينوس واثناسيوس وأغريغوريوس وائيتس وكل أهل الشرق يقولون إن الله كان= =قبل الابن وبدون بداية فهم محرومون إلا فيلوغونيوس وهيلانيكس ومكاريوس الأميون الهراطقة الذين يقول أحدهم إن الابن ضياء الآب، والآخر أنه مساو للآب في كونه غير مولود، ولا هو جزء من غير المولود بنوع ما، ولا صنع من مادة دون، بل بالإرادة والقصد وجد قبل كل الدهور

الثانية: رسالة إلى الكسندر، وهي اعتراف قدمه لمجمع نيقوميديا الأول[١].

الثالثة: اعتراف الإيمان ذكر فيه أن الابن ولد قبل كل الدهور ولو كتبت كلمة gegennimenos المولود" بحذف حرف n منها gegenimenos تغير معناها وأصبحت تعنى المخلوق وليس المولود[٢].

الرابعة: تاليا ومعناها مأدبة أدبية دبجها بأبيات منظومة يلحنها، وكان يتعنى بها صباح مساء[٣].

الوقع: وقَعَ المطر يَقَعُ وَقْعاً نزل، ووَقَعَ الشيء سقط، ووَقَعَ فلان في فلان وُقُوعا ووَقيعَةً سبه واغتابه وعابه، ورجل وَقّاعٌ ووَقّاعةٌ أَي يَغْتابُ الناس، والواقعة: القيامة والنازلة من صروف الدهر والمصادمة، ووقعت بالقوم وقيعة قتلت وأثخنت، وقع الحق ثبت والقول عليه وجب والكلام في نفسه أثر فيها، توقع الأمر ارتقب وقوعه، ورجل واقعة شجاع، وقع بالعدو وقعا ووقعة بالغ في قتالهم، تواقع

وقبل كل العالمين، إله تام، المولود الوحيد الغير المتغير، وأنه قبل أن ولد أو خلق أو قصد به أو ثبت لم يكن له وجود، لأنه لم يكن غير مولود قط، إننا نضطهد لأننا نقول إن للابن بداية ولكن الله بدون بداية، ونضطهد أيضا لأننا نقول إنه من العدم، وهذا نقوله لا أنه ليس جزءاً من الله ولا صنع من دون، فعلى هذا نضطهد، وأنت تعلم البقية، أستودعك الله] تاريخ الكنيسة، ص: ١٤٢، ١٤٣، الشماس منسي القمص مطبعة اليقظة، الفجالة مصر، ط الأولى سنة ١٩٢٤م.

(١) حفظت في أعمال أثناسيوس عن المجامع، وكتاب باناريون لإبيفانيوس وباللغة اللاتينية في كتاب الثالوث لايلارى.

(٢) هذه الرسالة في التاريخ الكنسى لسقراط والتاريخ الكنسى لسوزومينوس.

(٣) تاريخ الكنيسة ص: ١٤٤، الفرق والمذاهب المسيحية، ص: ٨٧، ٨٨.

الأعداء وقع بعضهم ببعض والرجلان تقاتلا[١]. ومعظم هذه المعاني اللغوية يتناولها البحث فكل الأحداث التي وقعت بين دعاة التوحيد والتثليث تدلل على على معظم معانيها اللغوية هذه.

النصرانية: دِينُ أَتباع المسيح عيسى (عليه السلام) والنَّصْرَانِيُّ من تعبَّد بدين النَّصرانية، وتنصر الرجل: دخل في النصرانية، ونَصَّرَهُ تَنْصيراً جَعَلَهُ نَصْرانياً، ورجل نصراني وامرأة نصرانية، والجمع النصارى[٢]، وفي الحديث عن أبي هريرة عن النبي (صلى الله عليه وسلم) قال: "كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهودانه وينصرانه ويمجسانه"[٣]، سميت بهذا نسبة إلى الناصرة قرية بالجليل من فلسطين في الجزء الشمالي منها، وتبعد ١٤ ميلا من بحيرة طبرية، ينسب إليها المسيح (عليه السلام)، أو إشارة إلى نصرهم لعيسى (عليه السلام)، وتناصرهم فيما بينهم، وهذا يخص الحواريين منهم ثم أطلق عليهم على وجه التغليب، قال تعالى: ﴿...قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ

---

(١)لسان العرب ٨ / ٤٠٢، محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري، دار صادر – بيروت الطبعة الأولى، المصباح المنير في غريب الشرح الكبير ٢ / ٦٦٨، أحمد بن محمد بن علي المقري الفيومي، المكتبة العلمية – بيروت، المعجم الوسيط ٢ / ١٠٥٠ إبراهيم مصطفى . أحمد الزيات . حامد عبد القادر . محمد النجار، دار النشر: دار الدعوة، تحقيق / مجمع اللغة العربية.

(٢)تاج العروس من جواهر القاموس ١٤ / ٢٣٠، محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني، الزَّبيدي، دار الهداية.

(٣)صحيح ابن حبان محمد بن حبان بن أحمد أبو حاتم التميمي البستي ١ / ٣٣٦ باب الفطرة رقم "١٢٨"، مؤسسة الرسالة – بيروت، الطبعة الثانية، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٣م، تحقيق: شعيب الأرنؤوط وقال: إسناده صحيح.

ٱللَّهِ... ﴿١٤﴾ ﴾ [الصف: ١٤] وأطلق عليهم أهل الكتاب، ويطلق عليها أيضا المسيحية نسبة إلى المسيح عيسى بن مريم (عليه السلام) فالمسيحية هي النصرانية[1].



---

(١) المعجم الوسيط ٢/ ٩٢٥، تاريخ الأقباط للمقريزي ص: ٢٦، ٢٧، الموجز في الأديان والمذاهب المعاصرة، ص: ٦٣، د. ناصر بن عبدالله القفاري، وناصر بن عبد الكريم العقل، دار الصميعي الرياض، ط الأولى ١٤١٣هـ/ ١٩٩٢م.

الفصل الأول
الآريوسية وموقف الكنيسة منه

آريوس لم يكن بدعاً في رأيه ومذهبه، فقد سبقه من كان على منهجه ولحق به من أيَّد أفكاره وانتصر لها، وقاوم الكنيسة فيما ذهبت إليه من القول بألوهية المسيح وبنوته لله، غير أن تأثيرهم لم يكن كتأثير أريوس، فجمعه بين مدرستي إنطاكية والإسكندرية، يعطي دلالة على رغبته في معرفة ما يمت إلى دينه ومعتقده بصلة، واستفادته من آراء المدارس الفكرية، مع سعة الأفق والثقافة، وارتكز مذهبه على ما يلي:



المبحث الأول

التوحيد الذي اعتقده آريوس:

اختلف التوحيد عنده عن الأنطاكيون الذين اعتقدوا أن المسيح تهذب وتشكل بهبوط قوة إلهية مجردة عليه، وعن الإسكندريين الذين اعتقدوا أن الوحدانية اتسعت لتحوى كل الموجودات الإلهية، فكان يقول: إن الآب[1] وحده الله والابن مخلوق مصنوع، وقد كان الاب حيثما لم يكن الابن"[2].

كما اعتقد أن " الله واحدٌ فَردٌ غير مولود، لا يشاركه شيء في ذاته تعالى، فكل ما كان خارجا عن الله الأحد إنما هو مخلوق من لا شيء وبإرادة الله ومشيئته، أما الكلمة فهو وسط بين الله والعالم، كان ولم يكن زمان لكنه غير أزلي ولا قديم، بل كانت مدة لم يكن الكلمة موجوداً فالكلمة مخلوق، بل مصنوع، وإذا قيل بأنه مولود، فبمعنى أن الله تبناه، ومؤدّى ذلك أن الكلمة غير معصوم طبعاً، ولكن استقامته حفظته من كل خطأ وزلل، فهو دون الله مقاما، ولو كان معجزة الأكوان خلقاً بلغ من الكمال ما يستحيل معه خلق شيء أكمل منه رتبة وحالاً، بكلمة واحدة، ليس في المسيح لاهوت، بل هو إنسان محض مهما كان عظيما)[3].

---

(١) الآب: الله بالسريانية، والمعنى الدقيق له إعطاء الشيء ولفظ آب بهذا المعنى الموجد لكافة الموجودات ومكون كل الكائنات، أي فاطرها، وخالقها وصانعها من غير مثال سابق، لكن الكنيسة أطلقت لفظ والد محل لفظ الآب وهناك فارق كبير بين التكوين والتوليد [النصرانية في الميزان محمد عزت الطهطاوي، ص: ١٦ ط دار القلم دمشق، الدار الشامية بيروت].

(٢) الأسفار المقدسة، ص: ١٠٠.

(٣) الفرق والمذاهب المسيحية، ص: ٨١.

ورأى عدم فهم ما يختص بالله الغير محدود بعقل الإنسان المحدود حتى إنه قال: "إن الله غير مُدرك ليس من الناس وحدهم بل أيضا من نفس الابن الوحيد المولود"(١)، وهذا الذي قاله قريب من الرؤية الإسلامية، ذلك أن العقل البشر محدود وقاصر، وبالتالي لا يستطيع إدارك حقيقة الله تعالى وكنهه ففي الحديث "تفكروا فى آلاء الله ولا تفكروا فى الله" وفي رواية "عن ابن عباس: "تفكروا في كل شيء ولا تفكروا في ذات الله"(٢).

ووقف في مجمع نقية وقال: "إن الابن ليس مساويا للآب في الأزلية وليس من جوهره، وإن الآب كان في الأصل وحيدا فأخرج الابن من العدم بإرادته، وإن الآب لا يُرى ولا يُكيف حتى للابن لأن الذي له بداية لا يعرف الأزلي، وإن الابن إله لحصوله على لاهوت مكتسب"(٣).

وجل ما يجوز قوله عن مذهبه أنه كان فيما يظهر محاولة جديدة لتأكيد وحدانية الآب، وتخفيض منزلة الابن والروح القدس، فالآب وحده في نظر آريوس استحق لقب الاله، أما الابن فإنه لم يكن سوى إله ثانوي منخفض في الرتبة

---

(١) تاريخ الكنيسة منسي القمص، ص: ١٧٧.

(٢) جمع الجوامع أو الجامع الكبير للسيوطي رقم "٣٥٣" وعزاه إلى ابن أبى الدنيا فى كتاب التفكر وأبو الشيخ فى العظمة ٢١٠/١، رقم "١" عن أبي ذر، ابن عباس، والطبرانى فى الأوسط ٢٥٠/٦، رقم ٦٣١٩، وقال الهيثمى (٨١/١): فيه الوازع بن نافع وهو متروك، وابن عدى ٩٥/٧، والبيهقى فى شعب الإيمان وضعفه ١٣٦/١، رقم "١٢٠"، وقال: هذا إسناد فيه نظر، والأصبهانى، وأبو نصر وقال: غريب عن ابن عمر ط دار الكتب العلمية بيروت الطبعة الأولى، ١٤١٠تحقيق: محمد السعيد بسيوني زغلول، وقال ابن حجر في الفتح (١٣ / ٣٨٣): وحديث أبي هريرة المذكور في الباب وحديث ابن عباس تفكروا في كل شيء ولا تفكروا في ذات الله موقوف وسنده جيد.

(٣) تاريخ الكنيسة منسي القمص، ص: ٢٥٣.

والمنزلة مخلوق من العدم بإرادة الآب، بيد أنه تميز عن سائر المخلوقات في أنه كان صورة الله الآب في جوهره وإرادته وقدرته ومجده[١].

وقال في رسالته إلى يوسابيوس النيقوميدي: إن منهم من يقول أن الابن هو تجشؤ الله، والبعض الآخر أنه إنتاج الله، والبعض الآخر أنه أبدي أيضًا، وهذا هو ما لا نستطيع قبوله أو الاستماع عليه. على الرغم من أنه قد حكمنا بالهرطقة وقتل منا الآلاف، لكننا نقول ونعتقد، كما تعلم وتعلّم، أن الابن ليس أبديًا ولا في أي شكل من الأشكال، بل هو جزء من الأبدي، فالله كامل ووحيد وثابت، إننا مضطهدون لأننا نقول أن للابن بداية لكن الآب هو البداية[٢]. وتبني عقيدته على نصوص الانجيل منها:

"**اسمع يا اسرائيل**: الرب إلهنا رب واحد" [تثنية ٦: ٤]. "إن كنت أنا بروح الله أخرج الشياطين فقد أقبل عليكم ملكوت الله" [متى ١٢: ٢٨]، وسأله رئيس قائلا أيها المعلم الصالح: ماذا أعمل لأرث الحياة الأبدية؟ فقال له يسوع: لماذا تدعوني صالحا! ليس أحد صالحا إلا واحد وهو الله [لوقا ١٨: ١٨ . ١٩]. وهذه هي الحياة الأبدية: أن يعرفوك أنت الإله الحقيقي وحدك، ويسوع المسيح الذي أرسلته [يوحنا ١٧: ٣].

"لو كنتم تحبونني لكنتم تفرحون لأني قلت أمضي إلى الآب. لأن الآب أعظم مني". [يوحنا ١٤/٢٨] صرخ يسوع بصوت عظيم قائلا: ايلي ايلي لما شبقتني . أي إلهي إلهي لماذا تركتني . [متى ٢٧: ٤٦] (الرب أوجدني أول طريقه من قبل أعماله منذ القدم) [أمثال ٨: ٢٢].

(١) كنيسة انطاكية: ١/ ١٩٣.

(٢) Peters, Heresy and Authority in Medieval Europe, p. ٤١. نقلا عن ويكيبيديا الموسوعة الحرة.

هذه النصوص تبرهن أن الله واحد وأن المسيح لا يعرف شيئاً عن التثليث أو الأقانيم لأنه قال: أنت الإله الحقيقي وحدك، فلم يدّع الإلهية وأشار إلى الإله الحقيقي، وشهد أنه رسول الله فحسب، وهذا الذي ذكره القرآن الكـريم: ﴿ ... **مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَآ أَمَرْتَنِى بِهِۦٓ أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبَّكُمْ ۚ وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ ۖ ...** ﴿١١٧﴾ ﴾ [المائدة: ١١٧]، كما أنه لم يقل: إن الحياة الأبدية أن يعرفونا نحن الثلاثة, أو الثلاثة أقانيم، أو أن يعرفوا الآب والابن والروح القدس، فلم يفكر المسيح في كونه أكثر من نبي، ولم يحدث منه ما يخيل إلى السامع أن له خواطر وآمال فوق خواطر البشر وآمالهم، بل نجد له كلمة تعبر عنه هي قوله: إنه ابن الإنسان.



المبحث الثاني
موقف آريوس من الثالوث

كان لأريوس موقفا مغايرا للمثلثين جاهر فيه بمعتقدات تخرج عن معتقدهم فقال: إذا كان لأقانيم الثالوث الأقدس جوهر إلهي واحد عندئذ لا يكون بينهم فرق أو تمييز وعدم الفرق يقود إلى مزج الأقانيم الثلاثة في واحد ورفض التثليث، وقدم حلاً لمسألة الثالوث فقال: "الله وحده هو الإله الحقيقي بالمعنى الخاص الصارم، وابن الله والروح القدس كائنات إلهية بالدرجة الثانية فقط لهما طبيعة تتميز عن طبيعة الاب وفي حالة خضوع السبب إلى المصدر والمسبب. والله أزلي أبدي لا يموت لأنه الحق أما ابن الله فهو مولود، له بداية وله نهاية والكلمة مصنوع من الله وغير معصومة ولكن استقامة المسيح حفظته من الخطأ.

يقول أسد رستم: والثالوث في نظر آريوس ثلاثة في الأقنوم ولكنهم ليسوا واحدا إلا باتفاق المشيئات[1]، يقول جون لوريمر: الدافع لآريوس هو الحفاظ على كمال الله الآب وسرمديته وألوهيته، في الوقت نفسه نسب دوراً هاماً للمسيح الابن يفرزه عن الآخرين، على أن آريوس لم يستطع أن يقبل وجود تغيير أو انقسام من الاب الذي كان الجوهر النهائي، وتنقل نصوص مجموعة الشرع الكنسي أن أريوس أنكر لاهوت المسيح، وزعم أنه مخلوق من العدم وغير مساوٍ للآب في الجوهر، وأنه لم يكن أزلياً وهو دون رتبة الألوهية، ويسمى مجازاً ابن الله وحكمته وقوته[2].

---

(١) كنيسة انطاكية ١/ ١٩٣.

(٢) الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة، ص: ١٣، الندوة العالمية للشباب الإسلامي، إشراف وتخطيط ومراجعة: د. مانع بن حماد الجهني.

مفهوم الآريوسية إذا يرتكز على نظرية المرؤوسية، فهو يعتقد أن الكلمة الابن والروح القدس ينبثقان من الآب ويقبلان منه كيانهما، وبدءًا لم يكن أصل لهما وبالتالي يظلان مرؤسين، والآب ذو جوهر متعال وأرفع من عيسى الذي يبقى في درجة أقل منه في السلطة والمجد.

أزلية الآب وحده: فلو كان الابن أزليًا، فهذا سيقود حكمًا لاعتباره كما الآب مبدأً وأساسًا لكل مخلوق، وبما أن العقل لا يمكن أن يقر بمبدأين وأساسين فالابن بالرغم من أنه موجود قبل كل الخليقة وقبل كل الأزمنة، إلا أنه يرتبط بالآب الذي كان قبله وأخذ منه كيانه؛ هذا يعني أن الابن لم يكن موجودًا، وأنه والروح القدس لا يشتركان مع الآب في صفة الأزلية، وهذا يعني أن الأقنومان الثاني والثالث لا يشتركان مع الأقنوم الأول في الصفة الأزلية.

ورفض القول بأن الابن من الآب، أي من طبيعة الآب وقبل بمصطلح مولود من الآب، وحافظ على مبدأ الخلق، ولم يقبل مصطلح وفق الجوهر، الذي أرساه مجمع نيقية، فالابن ولد بمعنى خلق من الآب مباشرة، وحسب معتقده لو كان الابن مخلوقًا ولو كانت الطبيعة الإلهية غير قابلة للتغير والفساد فإن منح الآب جوهره أو جزءًا منه للابن سيؤدي إلى انقسام الطبيعة الإلهية الغير منقسمة أصلاً، لذلك رفض مبدأ الجوهر الواحد[(١)].

اللاهوتيون المعاصرون يأخذون على آريوس عدم تطرقه لموضوع ألوهية الروح القدس، فالشواهد التي ركن إليها آريوس تستند إلى الابن دون التطرق لموضوع الروح القدس.



---

(١) تاريخ الفكر المسيحي ١/ ٦٣٤ - ٦٣٧ القس حنا جرجس الخضري، ط دار الثقافة ١٩٨١م . القاهرة.

المبحث الثالث
موقف الكنيسة من آريوس وآرائه

الآريوسية عرفت عن طريق أعدائها، فالأرثوذكس خاصة، والأقباط عامة يعتبرون آريوس طامةُ كبرى، وهرطوقيا[1] معادلا للشيطان؛ وتعرض الأريوسيون لمحاولات تشويه كثيرة وكبيرة، فأعداؤها يعتبرون آريوس وأتباعه "قتلة لا هوت المسيح" ولا يذِكْرُ إلى يومنا، إلا ثارت نفوسُ الأقباط ضدْ المتلفِّظ باسمه، فهو اليوم فى نظرهم، مثلما كان فى نظر أسلافهم: عدو المسيحية الأول، ومن الوقائع الدالة على طبيعة الموقف العام القبطى منه، أنه عام ٣٦١م ثار أقباط الإسكندرية ضد الأسقف جورجيوس الكبادوكى، الذى أرسل ليكون أسقفاً للإسكندرية ومصر، فاعترضوه فى أحدٍ شوارع الإسكندرية، وقتلوه، نهارا وقطَّعوا جثَّته بالسواطير؛ لأنهم رأوا أنه يميل إلى آراء آريوس[2].

مع أن آريوس وأتباعه كان هدفهم الحفاظ على وحدة الذات الإلهية، ومفارقتها للمخلوقات، وتأكيد حرية الإرادة الإنسانية بعيداً عن الوساطة الكهنوتية، ولديهم أدلة مستقاةٌ مباشرةً من الإنجيل وُصف فيها المسيحُ بابن الإنسان، لكن كنيسة الإسكندرية، قادت معظمُ الكنائس وراحت تدافع بقوة وتحاربهم وتؤكِّد أن الابن كان موجوداً منذ الأزل، وأن المسيح هو الكلمة غير المخلوقة.

---

(١) الهرطقة أو الأرطقة كلمة يونانية تعني الكفر، أو الضلال تطلقها الكنيسة على كل من يخالفها.

(٢) طائفة الموحدين من المسيحيين عبر القرون مهندس أحمد عبد الوهاب، ص: ١١، مكتبة وهبة ط الأولى ١٤٠٠هـ / ١٩٨٠م، بتصرف.

ففى عام ٣١٤م كان أسقف الإسكندرية إسكندر، وسكرتيره، يقودان المعركه الفكرية المتأججة، قائلين "إن الابن هو تجسد لرب إسرائيل"، أو"الابن اكتسب صفات الاب وسار مساوياً تماماً له في الألوهية"، وقام إسكندر بعقد مجمع من الآباء المحليين عام ٣١٨م، وتم طرد أريوس وحرمانه، ومعه أسقفان آخران وستة رهبان وعدد من القائمين بالخدمة وعدد من العذارى المكرثين للكنيسة التابعات لفكر أريوس، فهرب أريوس إلى بيت عانيا وحظى بحماية أوسبيوس.

ولعل بطريك الإسكندرية أراد أن يقضي على هذه الفكرة فلم يعمد إلى المناقشة والجدل، حتى لا يتسع الخرق على الراقع، وحتى لا يلحن بالحجة عليه أريوس، ولكنه عمد إلى لعنه وطرده من حظيرة الكنيسة[١]، وبنى ذلك على أنه رأى المسيح يتبرأ من أريوس ويلعنه، فنفاه من الكنيسة مرتين، بحجة رؤية منامية رآها البطريرك بطرس قبل موته قال فيها "لما أكملت صلاتي ونمت، رأيت شابا قد دخل عليّ ووجهه يضيء كضوء الشمس وعليه ثوب متشح به إلى رجليه وهو مشقوق وقد أمسك بيده القطعة الممزقة فصرخت وقلت: يا سيدي من الذي شق ثوبك؟! فأجابني: أريوس هو الذي مزق ثوبي فلاتقبله، واليوم يأتيك طالبين منك ارجاعه فلا تطعهم" وأوصى ارشلاوس والاكسندروس بأن يمنعاه من شركتهما".

حتى ذلك الوقت كانت كل كنيسة أو كل جماعة تتبع إنجيلها ومعتقداتها، فتم عقد مجمع لرفع الحرمان الذي فُرض على أريوس في الإسكندرية، وكانت هذه المرة الأولى التي يقوم فيها مجمع محلى بإلغاء قرار لكنيسة أخرى، ولم يجد النفي وإعلان الرؤى والأحلام سبيلا للقضاء على أريوس، فأخذ يعالج المسألة بالحيلة والصبر، وشنَّ على آريوس حرباً شعواء، بلغت مسامعها إلى الامبراطور

(١) راجع محاضرات في النصرانية، ص: ١١٣ الإمام محمد أبوزهرة، ط دار الفكر العربي، ط الثالثة.

قسطنطين الأول فانعقد مجمع نيقية سنة ٣٢٥م وخرج بقرارات ضد أريوس وأتباعه، فلم تهدأ الأمور ولم تتوقَّف، وأخذ يعمل بحماس شديد وأساليب مبتكرة لأجل عقيدته ونشرها بين الجماهير عن طريق الأحاديث والأشعار، فأرسل إليه قسطنطين يدعوه إلى القسطنطينية للتوفيق بينه وبين أسقف الإسكندرية، وجاء آريوس من منفاه، لكنه مات[١] والأمور لم تهدأ أو تتوقف بعد موته وهذا سيظهر في النقاط التالية.



(١) تاريخ الكنيسة منسي القمص، ص: ١٣٩ – ١٥٠، حياة قسطنطين لأوسابيوس المؤرخ" ٦١:٢ والتاريخ الكنسى لسقراط ٧:١. نقلا عن ويكيبديا، جريدة صوت الأمة الاثنين ٢٠٠٠/٣/٢م.

المبحث الرابع

مجمع نيقية ٣٢٥م[١]:

في ٢٠ أيار (مايو) انعقد أول مجمع عالمي في الساحة الوسطى في القصر الملوكي، للبت في طبيعة المسيح عيسى بن مريم (عليه السلام)، وعرف باسم المجمع المسكوني الأول، وختم في التاسع عشر من حزيران من نفس العام، استمرت المداولات ثلاثة أشهر دون الوصول إلى رأي موحد.

سببه: تجمع الناس حول آريوس وتبرئته في مجمَّع نيقوميديا التركية، وعودته إلى الإسكندرية ينشر دعوته بين العامة والخاصة، فرفض الكسندر هذا وعقد مجمّع الإسكندرية سنة ٣١٨م، الذي لم يغير واقعا، فأرسل قسطنطين، أسقف قرطبة إلى الأطراف المتنازعة بالإسكندرية، فلم يأت بنتيجة، فدعا إلى المجمع[٢]، وعُقِد برئاسة الكسندر الأول بطريرك الإسكندرية وأوسابيوس القرطبي أسقف إسبانيا.

قراراته: خرجوا بما عُرف بـ "قانون إيمان مجمع نيقية" حين انتدب المجمع ثلاثة لوضع قانون الإيمان هم: إلكسندروس بابا الإسكندرية، وشماسه اثناسيوس، وليونتيوس أسقف قيسارية، ذكر صاحب كتاب تاريخ الأمة القبطية عن هذا القرار ما نصه: "إن الجامعة المقدسة والكنيسة الرسولية تحرم كل قائل بوجود زمن لم يكن ابن الله موجوداً فيه، وأنه لم يوجد قبل أن يولد، وأنه وجد من لا شيء، أومن

---

(١) نيقية: معناها مدينة النصر، مدينة قديمة بآسيا الصغرى اسمها اليوم (أزنيق)، أسست في القرن (٤ ق. م) كانت عاصمة الإمبراطورية البيزنطية. (الموسوعة الميسرة، ص ١٨٦٧، المنجد في الأعلام ص ٧٢١).

(٢) الفرق والمذاهب المسيحية، ص ٨٤.

يقول: إن الابن وجد من مادة أو جوهر غير جوهر الله الآب، وكل من يؤمن أنه خلق، أو من يقول: إنه قابل للتغيير، ويعتريه ظل دوران". وخلاصة القرارات:

١- إثبات ألوهية المسيح وتقرير عقيدة التثليث.

٢- تكفير مَن يذهب إلى القول بأن المسيح إنسان.

٣- تكفير أريوس وحرمانه وطرده، وحرمان أسقف نيقوميدية وثلاثة آخرين لتأييدهم تعاليم أريوس.

٤- إحراق جميع الكتب التي تنفي ألوهية المسيح وتحريم قراءتها، واختيار أربعة أناجيل هي: يوحنا ولوقا ومتى ومرقص، وحرق بقية الأناجيل وقتل كل من يثبت اقتناؤه لها.

٥- اعتبار العطلة يوم الأحد يوم الشمسSunday، واعتبار يوم الخامس والعشرين من كانون الأول ديسمبر يوم ميلاد المسيح، واستعارة الصليب رمز إله الشمس، رمزا للمسيحية، وقرر المجتمعون دمج جميع المراسم التي كانت تجري في احتفالات عيد ميلاد إله الشمس، واتخاذها احتفالات ومراسم وطقوساً للمسيحية.

٦- أغفل الحديث عن الروح القدس ولم يبحث ألوهيته، فاستمر الجدل حولها بين منكر ومثبت حتى حسمت في مجمع القسطنطينية[1].

وللقارىء أن يسأل كيف يظل النصارى أكثر من ثلاثة قرون يدينون بعقيدة لا يعلمون من أين تشتق وعلى أي أساس تقوم، ولا يتحققون إن كان صاحبهم إنسانا أم إلها، ألا يدل هذا على أن تأليه عيسى لم يكن أصلاً في اعتقادهم

---

(١) محمد عطاء الرحيم، عيسى يبشر بالإسلام ص: ١٥٧، الفرق والمذاهب، ص ٨٤ الله جل جلاله واحد أو ثلاثة ١ / د. منقذ بن محمود السقار، ملف ورد من موقع صيد الفوائد ١٣٥.

المتواتر، من خلال الأصول الصحيحة والتعاليم المعلنة، وما سبب الإنتظار هذا الزمن الطويل ليتقرر فصل ذلك في مجمع نيقية.

اتخذت القرارت بأقلية مغلوبة على أمرها، وكان لقسطنطين يد طولى في ترجيح ما انتهى اليه المجمع، لكن كيف انتحل قبل تنصره ذلك المقام الخاص بنفخ الروح القدس وتعليمه، وتصرفه أثناء انعقاد مجمع رسمي له صلاحية تامة لحل مشكلة عقائدية دينية والفصل فيها، مع أنه لم يكن مسيحياً فضلا عن كونه قسيساً، وعلى أضعف الأقوال ما زال حتى انعقاد المجمع محايدا يعطف على المسيحيين؟ وكيف قبلوا تدخله بسلطانه لينصر المقالة الأقرب إلى وثنية قومه، ألم يكن الأقرب للصواب أن يجلس محايدا مستمعا دون ابداء رأي فالمجمع ليس متعلقا بديانته، فضلا عن جهله التام بهذه الديانة.

إضافة إلى أن من دُعوا لهذا المجمع ووصلوا إلى نيقية من سائر الأمصار (٢٠٤٨) لكن العدد نزل عند التصويت واتخاذ القرار إلى ٣١٨ فما هي آراء الباقين؟ ولم أهملت؟ أكانوا جميعاً مختلفين في النحل والآراء، أم متفقين؟ ولم تعذر الأخذ بالكثرة المطلقة التي يزيد عددها على النصف، ولو واحداً؟ بأكثرية آراء القساوسة الممثلين للنصرانية، ولم لم يقتربوا من هذه الطريقة للحل؟ ألم تكن الحاجة داعية إلى أن يهبط على هؤلاء الآباء روح القدس الذي حل على الحواريين بشكل ألسنة من نار وجعلهم بغتة يتكلمون أربعة عشر لسانا في (عيد الخمسين) ولم يكن الحاضرون في المجمع الكبير واقفين على أربعة عشر لساناً فقط، بل على نحو خمسين لساناً، معظمهم غرباء عن اللسان اليوناني، ولكن لم يأت ولم يظهر الروح القدس ولا الفار قليط كما يتدارك دين المسيح وكتابه

وكنيسته ويحول دون هذا الانقلاب المدهش! قرر الإمبراطور أن يفصل الأمر بتدابيره الشديدة(١).

ما هي سلطة المجمع الدينية لتحل أو تحرم دون الرجوع إلى نصوص الاناجيل؟ وكيف نفسر موقف أحد الأساقفة الذين اتبعوا القول بألوهية عيسى، ولما سنحت له الفرصة عاد عام ٣٥٧م وراح يدعو إلى مذهب أريوس؟ ذلكم هو أوسابيوس، الذي عين بطريركا للقسطنطينية وأظهر ذلك في مجمع صور، ووقع على تصريح سيرميوم في إيريللي، وتنكر لكل ماضيه(٢).

حضر المجمع أثناثيوس الراهب الشاب وكان شماساً، والأصل عدم حضوره، وكان عليه إن حضر مرافقا أو مساندا لغيره، أن يجلس مستمعاً لا معارضا لا رأي له يعرضه ويناقشه، لأن المجمع "حرم في القانون الثامن عشر جلوس الشمامسة بين الكهنة وتقديم القربان لهم"(٣) يضاف لهذا أن القساوسة لم تذكر ردودهم واعتراضاتهم على آريوس في حين أن المذكور في جل الكتب هو كلا أثناسيوس، والأصل أنهم أصحاب التعاليم وأنهم المدافعون عن العقيدة والمجمع عقد ليبدوا هم آراءهم، فكيف غابوا هم عن الرد وتركوه لأثناسيوس؟.



---

(١) محاضرات في النصرانية ص: ١١٧، الإنجيل والصليب، ص: ١٩، عبد الأحد داود.

(٢) أضواء على المسيحية د رؤف شلبي، ص: ٩٩، مؤسسة الكتب العصرية صيدا - بيروت ١٩٧٥م، الإسلام، ص ٣٣، روجيه غارودي، ترجمة وجيه أسعد، ط الثانية بيروت ١٩٩٧م، الفرق والمذاهب المسيحية، ص ٨٤.

(٣) كنيسة أنطاكية ١/ ٢٠٤.

المبحث الخامس

انتشـــــار الآريوسية

رغم رفض أريوس ولعنه واضطهاد الرومان له ولأتباعه، إلا أن مذهبه انتشر في جميع الأوساط المسيحية، فشمل كنائس مصر وليبيا وفلسطين وآسيا الصغرى، حتى تغلَّب على خصومه، يقول القس حنا الخضري: "رجع الأساقفة بعد مجمع نيقية إلى أبرشياتهم والقسوس إلى كنائسهم وبدأ كل منهم يعلّم ما كان يعلّم به قبلا، بل إن البعض تطرف في الهرطقة التي فاقت هرطقة أريوس نفسه، فمع أن أريوس وبعض أتباعه نفوا إلا أن الآريوسية بنت عشها في حدائق كثير من الأساقفة والرعاة ... حتى وصل إلى أعلى طبقة في المجتمع وهي أم الإمبراطور قسطنطين وأخته اللتان صارتا من أتباع أريوس"[١].

وبعده انتشر انتشاراً عظيماً، فلقي أنصارا كثيرين في الأوساط الفقيرة وخارجها، وبين رجال الكنيسة، وأتباع أريوس استمروا في نشر مبادئه وتعاليمه، وكانوا يناقشون الناس في شوارع الإسكندرية قائلين: يا هرطوقي من الأكبر الوالد أم المولود؟ وكانوا يقولون لهم: هل من المعقول أن يوجد ابن قبل ولادته[٢].

واقتنع قسطنطين بواسطة المهادنين للأريوسية المحبين لها، ومرت الأيام حتى ترأس الأريوسيون المراكز الدينية، في أنطاكية، والإسكندرية، وروما، كما أن قسطنطين عمد وهو على فراش الموت على مذهب أريوس، حيث عمده أوسابيوس النيقوميدي أكبر أنصار أريوس، وبعد تولي قسطنطين

---

(١) تاريخ الفكر المسيحي ١/ ٦٤٣، ٦٤٤.

(٢) تاريخ الكنيسة منسي القمص، ص: ٢٧٢.

الثاني عرش بيزنطة، وإثر توليه السلطة أصدر عفوًا عن جميع من حرمهم مجمع نيقية، كما عين أوسابيوس النيقوميدي مستشارًا لاهوتيًا له وبطريركًا للقسطنطينية.

وعندما سيطر على الإمبراطورية الرومانية الغربية امتد نفوذ المذهب، فاعتنقت القبائل الجرمانية مذهب آريوس، وأصبحت أوروبا الغربية آريوسية، عام ٣٥٩م إذ حلّت الآريوسية محلّ المسيحية الرّومانية، وظل من النصارى دعاة إلى التوحيد واستمر من عقلائهم ومصلحيهم في كل جيل من يعلن فساد مبدأ التثليث والتجسد من حين لآخر فيناله ما يناله من الاتهام بالهرطقة والتكفير والحرمان من دخول الجنة من الكنيسة[1].

ونجح ألفيلاس في تحويل شعوب الجرمان إلى عقيدة آريوس، قبيل انقسامها إمبراطورتين شرقية وغربية، وعقب انهيار الإمبراطورية الرومانية الغربية عام ٤٧٦ كانت الممالك القوطية في ألمانيا آريوسية. وفي القرن الخامس كانت أسقفيات العالم المسيحي إما آريوسية أو شاغرة، وفي الشام والتّخوم الشمالية للجزيرة العربية، كان التّوحيد الآريوسي موجوداً زمن بعثة النّبي (ﷺ) كما كان مذهب مصر زمن فتحها، وكان بعض نصارى العرب آريسيين كورقة بن نوفل، ظهر هذا جليًا من سرعة اتباعه لرسول الله (ﷺ) الذي كان يقرأ عنه في الإنجيل، ومن شعره الذي قال فيه:

لَا تَعْبُدُنّ إلَهًا غَيْرَ خَالِقِكُمْ فَإِنْ دَعَوْكُمْ فَقُولُوا بَيْنَنَا جَدَدُ[2].

---

(١) سوسنة سليمان في أصول العقائد و الأديان، ص: ١٣٧، نوفل أفندي نوفل، طبع المطبعة الأمريكية، بيروت عام ١٩٢٢.

(٢) الروض الأنف ١ / ٣٣٠، قال السهيلي نسَبَهُ أَبو الْفرَجِ إلَى وَرَقَةَ وَفِيهِ أَبْيَاتٌ تُنْسَبُ إلَى أُمَيّةَ بْنِ أَبِي الصّلْت.

الشمال الأفريقي كان على مذهب آريوس لسنين عديدة، وأريوس وأتباعه نشروا أفكارهم بكل ضرب من ضروب عصرهم، فاستعانوا بالأحاديث الدينية، وتحرير الرسائل اللاهوتية ونشر عقائدهم على هيئة أفكار منتظمة قانونية، واستخدموا اشعارهم التي كانوا يتغنون بها في كل مناسبة. فى القسطنطينية – على مدى أربعين سنة – خلف أربعة أساقفة أريوسيين، حتى إن غريغوريوس الثيولوغوس أسقف القسطنطينية استقر في بيت صغير للصلاة، لأن الأريوسيين استولوا على جميع الكنائس(١).

في إسبانيا تقبّل الإسبان المسلمين ليخلصوهم من الاضطهاد والتعصب الكنسي، الذي اقتلع شعوباً بأسرها كالفودوَا والكاتار والبجوميل لمجرد أنهم رفضو تأليه المسيح. ورد هرقل على خطاب الرسول (ﷺ) عن أريوس والأريوسية، يكشف عن الكثير من المسكوت عنه أو المتعتم عليه: "إلى أحمد رسول الله الذي بشر به عيسى، من قيصر الروم، إنه جاءني كتابك مع رسولك، وأني أشهد أنك رسول الله، نجدك عندنا في الإنجيل، بشرنا بك عيسى بن مريم. وأني دعوت الروم إلى أن يؤمنوا بك فأبوا، ولو أطاعوني لكان خيراً لهم، ولوددتُ أني عندك فأخدمك وأغسل قدميك"(٢).



المبحث السادس

الفرق الآريوســـــية

(١) الفرق والمذاهب، ص: ٩٢.

(٢) انظر تاريخ اليعقوبي١/٣٩٩ أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر بن وهب بن واضح المعروف باليعقوبي، تحيق عبد الأمير مهنا، شركة الأعلمي للمطبوعات، بيروت – لبنان، ط الأولى ١٤٣١هـ / ٢٠٢١م.

استخدم مجمع نيقية في قانون الإيمان اصطلاح؟ هومو أوسيوس" أي "الواحد في الجوهر مع، أو المساوى في الجوهر لـ"وأرادوا أن يثبتوا بهذا الاصطلاح أن الابن مع الآب واحد. وأن هذا الجوهر كيان أساسي واحد، وأضاف نفس الآباء بعد قانون الإيمان – بسبب المحرومين – نصا قالوا فيه بأن الابن "ليس من هيبوستاسيس آخر" أي "ليس من جوهر أخر" فأغضب الاصطلاح الأول الأريوسيين المتشددين، والاصطلاح الثاني أغضب الأريوسيين المعتدلين. أو أنصاف الأريوسيين (Semi – arians)

وكلمة "Hypostasis" هيبوستاسيس ترجمة للكلمة اللاتينية "Substantia " وفي اللغة اللاتينية كلمة Substantia تعنى "أوسيا u cia "أي الجوهر أو الكيان. وكلمة "هيبوستاسيس Hypostasis" القوام أو الأقنوم. أوضح أباء نيقية وحدة تشابه هذين الاصطلاحين لأنهم كانوا يخشون لو أنهم اعترفوا باثنين هيبوستاسيس (أي قوامين) أن يتهموا بأنهم يقبلون الاعتراف بجوهرين أي يكونوا مثل الأريوسيين، وانقسمت الآريوسية عدة طوائف كرد فعل لقرارات المجمع النيقاوى:

الأولى: اعتقدوا صحة قانون الإيمان النيقاوي رغم تشكيكهم بمساواة الابن للآب في الجوهر وهؤلاء دُعوا بأشباه الآريوسيين.

الثانية: طعنوا في صحة قانون الإيمان النيقاوي فطبيعة الابن مختلفة تماماً عن طبيعة الآب، وتخالفهم في القول بأزلية وجود الابن في حضن أبيه، ويسمون بالشيعة النصف أريوسية[١].

الثالثة: اعتقدوا أن الروح القدس أيضاً خليقة ثانوية.

كما انقسموا إلى:

---

(١) تاريخ الكنيسة منسي القمص، ص: ١٦٠.

الأريوسيون المعتدلون (الحمرة) (Semi – Arians): أوريجانيون قدامى تزعمهم أسقف قيصرية أوسابيوس، قبلوا عن رضى تعليما واحدا يرتكز على النظرية الأوريجانية الخاصة بخضوع الابن، وأصروا على التمييز المشدد بين الآب والابن، ورفضوا اصطلاحى مجمع نيقيا واعتبروهما سابيليان، لأنهما لم يردا بين نصوص الانجيل، وكانوا على استعداد لقبول معنى "التساوى في الجوهر "Omooucios لكن بتعبير مخالف، لهذا تمسكوا بالتعبير "مماثل للآب في كل شيء"

بعد موت أوسابيوس قام باسيليوس أسقف أنقيرا وجورجيوس اللاوديكى بتنظيمهم، وتميزوا بوضوح في مجمع ميديولانوس عام ٣٥٥م، حيث قبلوا "تماثل الجوهر" أو التشابه في الجوهر "هوميوأوسيوس" لذا أطلق عليهم اسم "هوميوأوسيين" وكانوا يختلفون عن القائلين "بالتساوى في الجوهر" أي "الهوموأوسيين" قليلا، فأطلق على النزاع بينهم أنه نزاع على لا شيء.

الآريوسيون المتشددون: نشأووا عن اللوكيانيين الذين قبلوا "بدعة التبنى"، رأسهم في البدء يوسابيوس النيقوميدى، ونسبوا إليه فأحيانا يطلق عليهم اليوسيبيون[١] وبعده أوسابيوس القسطنطينى، تشددوا في الفصل بين الآب والابن بدرجة أكبر، بعد موت أوسابيوس عام ٣٤١م، برز بين صفوفهم "ايتيوس" الانطاكى الذي اندفع إلى تكوين فريق أريوسى جديد، تشكل بطريقة أكثر تنسيقا على يد تلميذه "يونوميوس". ووضعوا مناهج وأساليب متكاملة، وتدخلوا بفكرهم ليفحصوا جوهر كل الكائنات، بما فيها الله، وزعموا أن جوهر الله هو في عدم الولادة، أما جوهر الابن ففي كونه مولوداً، ومن ثم فإن جوهرى الآب والابن ليسا

(١) الدولة والكنيسة ٣ / ٦٣٠ – د. رأفت عبد الحميد، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، تاريخ الفكر المسيحي ١/ ٦٥٧.

فقط لـم يكونـا شـبيهين بـل نقيضـين تمامـا، ولكـى يؤكـدوا تمييـزهم لله، اعتـادوا أن يمارسوا المعمودية بغطسة واحدة بدلا من ثلاثة غطسات.

الآريوسـيون المتـأرجحون أو النصـف أريوسـيون: فريـق ثالـث، هـو فريـق "الاوميويين" أي الشبيهيين، هؤلاء استخدموا اصطلاح "أوميوس" OMIOS أي شبيه أو مثيل، لم يكن لهم لاهوت خاص. بل حسب الظروف كانوا ينحازون لفريق أو لأخر. وأدى ذلك إلى إضفاء تفسيرين على كلمة "أوميوس " OMIOS فصار من الممكن أن تعنى "تشابه الجوهر" أو تشابه المشيئة، واتخذ هذا الفريق لزعـامتهم أسـاقفة الحـدود الشـمالية أمثـال أورسـاكيوس السـنجدونى، وأولتتـاس المورصى وأكاكيوس القيصرى، وهؤلاء فرضوا وجهات نظرهم في المجمع الذي أنعقد في سرميوس عام ٣٥٩ م(١).



(١) تاريخ الفكر المسيحي ٢/ ٥٩ وما بعدها.

الفصـــل الثاني

وقع الآريوسية في الديانة النصرانية

الأريوسية كان لها آثار في واقع النصرانية في شتى المجالات وعلى مختلف الأصعدة، وفي كل الأماكن والآثار واحدة من ثنتين إما إيجابية أو سلبية، ويمكن رصد الوقع في الآتي:

المبحث الأول

أظهرت الانحراف عن التوحيد الخالص

النصرانية في أصلها دين منزل من الله تعالى على عيسى (عليه السلام)، والايمان بأنه رسول وأن الانجيل الذي أنزله الله عليه واجب، وكان الجيل الأول من النصارى موحدا الله تعالى ومقرا بعبودية عيسى (عليه السلام)، وظل المؤمنون يعبدون الله على شريعة المسيح دون التأثر ببدع بولس، وحاربوا دعوته واتهموه بأنه أفسد المسيحية بعد أن عجز عن القضاء عليها بالسيف والسلطان، فدخل فيها وأخرجها من التوحيد إلى الوثنية، حتى بدأ تدخل السلطة وانعقاد المجامع الكنسية[1].

ولقد مرت النصرانية بمرحلتين، الأولى: من بعثة المسيح إلى مجمع نيقية، كانت فيها داعية إلى عبادة الله وحده، واقرار أن عيسى رسول بشر أرسل بالهدى ودين الحق، وما هي إلا سنوات حتى تسرب إليها مظاهر الشرك تمثلت في الفلسفات والانحرافات الوافدة إليها من بلاد انتشرت فيها المسيحية، فانقسم المسيحيون إلى طائفتين، أولاهما ظلت محافظة على التوحيد وهي فرق:

---

(١) الأسفار المقدسة، ص: ٩٤ باختصار وتصرف.

الأبيونيين، والكارينثيانيين، والباسيليديين والكاربوقراطيين، والهيبسيستاريين، والغنوصيين، وبولس السمساطي والأريوسيين.

والأخرى: مرحلة التثليث التي أقرت في مجمع نيقية إلى العصر الحاضر، حيث اشتد الخلاف فيها بين الطوائف الأولى، وتباعدت المسافات بينها تباعدا شديداً، لم يكن معه وفاق، فتباينت نحلهم واختلفت، وكل يزعم أن نحلته هي النصرانية الصحيحة، ودخلت طوائف عدة من الوثنيين الرومان، واليونان، والمصريين، فتكون مزيج غير تام التكوين والاتحاد، فكل بقي عنده من عقائده الأولى ما أثر في دينه الجديد، وجعله يسير على مقتضى ما اعتنق من القديم، وجنحت للشرك، وتمثلها مجموعة فرق: المرقيونيون، والبربرانية، والإليانية ....إلخ[1].

تقول دائرة المعارف الأمريكية: "بدأت عقيدة التوحيد .كحركة لاهوتية .بداية مبكرة جداً في التاريخ، وفي حقيقة الأمر فإنها تسبق عقيدة التثليث بالكثير من عشرات السنين"[2]؛ لأنها بدأت مع النبوات واستنارت وتلألأت ببعثة عيسى (عليه السلام) وتعاليمه الموحدة لله.

ومصادر النصارى تذكر أن أول من أدخل تعبير الثالوث إلى النصرانية ترتليان (٢٠٠م تقريباً)، وخالفه كثير من آباء الكنيسة حينذاك، وقد فرض التثليث على التوحيد بعد تنصر قسطنطين، وأما ما قبل ترتليان فليس للتثليث أي ذكر،

---

(١) الأسفار المقدسة، ص: ٩٧ – ١٠٢، عقائد النصارى الموحدين، ص: ٢٧ – ٦٥.

(٢) طائفة الموحدين من المسيحيين عبر القرون مهندس أحمد عبد الوهاب، ص: ٩، مكتبة وهبة، ط الأولى ١٤٠٠هـ / ١٩٨٠م، عقائد النصارى الموحدين حسني يوسف الأطير، ص: ٢٧، دار الأنصار، ط الأولى ١٤٠٥هـ ١٩٨٥م.

والذي وضع أساس عقيدة التثليث أثناسيوس قبل مجمع نيقية واعتمدها المجمع[١]، وأول شخص استعمل كلمة ثالوث في تاريخ العقيدة المسيحية هو ثيوفيلوس أسقف أنطاكية، ولقد استعمل هذا الاصطلاح في صيغة غريبة وهي (ثالوث الله) كما أنه يرى في الأيام الثلاثة السابقة لخلق الشمس إشارة إلى الثالوث[٢]، وهذا إن دل فإنما يدل على أن عقيدة التثليث ابتدعت في وقت متأخر.

يقول الشاعر السوري رشيد سليم الخوري الأرثوذكسي: "إن الكنيسة ظلت حتى مطلع القرن الرابع الميلادي تعبد الله على أنه الواحد الأحد وأن يسوع المسيح عبده ورسوله حتى تنصر قسطنطين عاهل الروم وتبعه خلق كثير من رعاياه اليونان والرومان فأدخلوا بدعة التثليث وجعلوا لله (ﷻ) أندادا شاركوه منذ الأزل في خلق السماوات والأرض وتدبير الأكوان ومالأهم الأسقف الأنطاكي مكاريوس فثار زميله الأسقف أريوس على هذه البدعة ثورة عنيفة شطرت الكنيسة واتسع بين الطائفتين نطاق الجدل حتى أدى إلى الاقتتال وفاز أريوس بالحجة القاطعة في المجامع بيد أن السلطة وضعت ثقلها في الميزان فأسكتت صوت الحق وأنفذت صوت الباطل واستمر المسيحيون يعمهون في ضلالتهم"[٣].

وتعددت المجامع التي ناقشت مسألة الثالوث، تحت سلطة الإدارة الحكومية للدولة الرومانية، بداية بمجمع نيقية ٣٢٥م، الذي بدأ يرسخ اعتقادهم أن الله ثالث ثلاثة، وانتهاء بالمجمع السابع الذي عقده قسطنطين الخامس عام ٧٨٧م، وبينهما

---

(١) قاموس الكتاب المقدس حرف الثاء، ص ١٦٢، تأليف مجموعة من علماء النصارى، شركة compuraill، عقائد النصارى الموحدين، ص: ٧٩-٨٢، طائفة الموحدين، ص: ١٠.

(٢) تاريخ الفكر المسيحي: ١/ ٤٦٣.

(٣) أضواء على المسيحية، ص: ١٠٧ . ١٠٩.

عقد مجمع سردينا، وسيرميوم وريميني، وسلوقية، وظهر ما لا يقل عن أربع عشر صيغة مختلفة بين أعوام ٣٤٠ –٣٦٠ تشرح طبيعة الثالوث، حتى قال القديس جيروم: استيقظ العالم متأوهًا، ليجد نفسه آريوسيًا.

وهذا يوضح أن هذه العقيدة صيغت وتم تحريفها عبر مراحل زمنية تأثرت بواقع الأحداث والبيئات، وربما الأهواء التي عاشها رموز الكنيسة ومن حضر المجامع، وخالفت ما جاء في الانجيل صراحة ففي يوحنا: "قَالَتْ لَهُ الْمَرْأَةُ: يَا سَيِّدُ، أَرَى أَنَّكَ نَبِيٌّ!" [٤: ٢٠] وهذا ينفي كونه إلهاً أو ابن الاله، ووردت لفظة "يا سيد في انجيل يوحنا" أربع وعشرون مرة (٢٤) ليس فيها رد واحد من عيسى على قائلها أنه قال أنا إله أو ابن إله، وفي لوقا ثلاثة عشر (١٣) وفي مرقس مرة واحدة هي: "أَقْبَلَ يَهُوذَا، وَاحِدٌ مِنَ الاثْنَيْ عَشَرَ، وَمَعَهُ جَمْعٌ كَثِيرٌ بِسُيُوفٍ وَعِصِيٍّ مِنْ عِنْدِ رُؤَسَاءِ الْكَهَنَةِ وَالْكَتَبَةِ وَالشُّيُوخِ. وَكَانَ مُسَلِّمُهُ قَدْ أَعْطَاهُمْ عَلاَمَةً قَائِلاً:«الَّذِي أُقَبِّلُهُ هُوَ هُوَ. أَمْسِكُوهُ، وَامْضُوا بِهِ بِحِرْصٍ». فَجَاءَ لِلْوَقْتِ وَتَقَدَّمَ إِلَيْهِ قَائِلاً:«يَا سَيِّدِي، يَاسَيِّدِي!» وَقَبَّلَهُ" [١٤: ٤٤ – ٤٦] فيهوذا لم يقل له يا إلهي ولم يعترض عيسى عليه، وفي متى: ست وعشرون (٢٦) مرة.

وفيه أيضا: "ثُمَّ أُصْعِدَ يَسُوعُ إِلَى الْبَرِّيَّةِ مِنَ الرُّوحِ لِيُجَرَّبَ مِنْ إِبْلِيسَ، فَبَعْدَ مَا صَامَ أَرْبَعِينَ نَهَارًا وَأَرْبَعِينَ لَيْلَةً، جَاعَ أَخِيرًا، فَتَقَدَّمَ إِلَيْهِ الْمُجَرِّبُ وَقَالَ لَهُ:« إِنْ كُنْتَ ابْنَ اللهِ فَقُلْ أَنْ تَصِيرَ هذِهِ الْحِجَارَةُ خُبْزًا ». فَأَجَابَ وَقَالَ: « مَكْتُوبٌ: لَيْسَ بِالْخُبْزِ وَحْدَهُ يَحْيَا الإِنْسَانُ، بَلْ بِكُلِّ كَلِمَةٍ تَخْرُجُ مِنْ فَمِ اللهِ»، ثُمَّ أَخَذَهُ إِبْلِيسُ إِلَى الْمَدِينَةِ الْمُقَدَّسَةِ،... وَقَالَ لَهُ: « إِنْ كُنْتَ ابْنَ اللهِ فَاطْرَحْ نَفْسَكَ إِلَى أَسْفَلُ، لأَنَّهُ مَكْتُوبٌ: أَنَّهُ يُوصِي مَلاَئِكَتَهُ بِكَ، فَعَلَى أَيَادِيهِمْ يَحْمِلُونَكَ لِكَيْ لاَ تَصْدِمَ بِحَجَرٍ رِجْلَكَ»، قَالَ لَهُ يَسُوعُ: «مَكْتُوبٌ أَيْضًا: لاَ تُجَرِّبِ الرَّبَّ إِلهَكَ»، ثُمَّ أَخَذَهُ أَيْضًا إِبْلِيسُ إِلَى جَبَلٍ عَالٍ جِدًّا، وَأَرَاهُ جَمِيعَ مَمَالِكِ الْعَالَمِ وَمَجْدَهَا، وَقَالَ لَهُ: « أُعْطِيكَ هذِهِ جَمِيعَهَا

إِنْ خَرَرْتَ وَسَجَدْتَ لِي »، حِينَئِذٍ قَالَ لَهُ يَسُوعُ:«اذْهَبْ يَا شَيْطَانُ! لأَنَّهُ مَكْتُوبٌ: لِلرَّبِّ إِلهِكَ تَسْجُدُ وَإِيَّاهُ وَحْدَهُ تَعْبُدُ». ثُمَّ تَرَكَهُ إِبْلِيسُ" [انجيل متى ٤: ١ . ١١]

وفي هذا النص يتبين أن المسيح قد صحبه الشيطان ومشى معه ليمتحنه ويجربه، وهذا يدل إن صحت الرواية على أن المسيح غير الله، ثم إن المسيح استدل بالتوراة على أن السجود لا يكون إلا لله وحده، يضاف إليه هل ابليس لا يعرف الإله حتى يأخذه ويختبره، وهل الاله محل للاختبار والسمع والطاعة لابليس حتى يسير معه أينما يوجهه ويطلب منه السجود للإله وليس لشخصه[١].

وقانون الإيمان المسيحي الذين يؤمنون به وضع على عدة مراحل، في مجمع نيقية وضع الجزء الأوّل منه ابتداء من عبارة: "نؤمن بإله واحد" حتى عبارة: "للقضاء بين الأموات والأحياء وليس لملكه انقضاء"، وكان ذلك بسبب أريوس، ويحق لهم تسميته بقانون الإيمان الاثناسيوسي بدلا من قانون الايمان المسيحي أو النيقاوي، لأن الذي وضعه أثناسيوي حين كان شماسا دون مساعدة أحد له، وحضر مجمع نيقية وأقر في المجمع، دون إقامة دليل على أنه منسوب إلى عيسى (عليه السلام) وزيد عليه حتى اكتمل في مجامع أخرى.

يقول أسد رستم: "وقد يستغرب القارئ تعدد قوانين الإيمان في هذه الفترة من تاريخ الكنيسة، ولا سيما بعد أن اتخذ المجمع المسكوني الأول قراره الشهير، ولكن الواقع التاريخي هو أن المجمع المسكوني الأول جعل من قراره هذا ردا على بدعة آريوس لا قانونا للإيمان كاملاً مانعاً، وأنه ترك المجال مفتوحاً للقول بالقوانين المحلية القديمة المتوارثة عن الرسل"[٢].

(١) الأدلة الكتابية على فساد النصرانية، ص: ١٥٨، د. أحمد حجازي السقا، دار الفضيلة – القاهرة، بدون.

(٢) كنيسة أنطاكية ١/ ٢١٩.

وفي مجمع القسطنطينية ٣٨١م ألهوا روح القدس، ووضعت مؤخرة الأمانة ابتداء من عبارة: "ونؤمن بروح القدس..." الخ. وكان سببه مقالة مكدونيوس أن روح القدس مخلوق، المرحلة الأخيرة في مجمع أفسس سنة ٤٣١م تم تأليه مريم العذراء باعتبارها والدة الإله، ووضعت مقدمة الأمانة ونصّها: "نعظمك يا أم النور الحقيقي، ونمجدك أيتها العذراء المقدسة والدة الإله لأنك ولدت لنا مخلص العالم أتى وخلص نفوسنا... نبشر بالثالوث المقدس، لاهوت واحد، نسجد له ونمجده، يا ربّ ارحم، يا ربّ بارك آمين"، وكان سببه مقالة نسطور إن مريم ليست أم الله، فانعقد المجمع لوضع المقدمة السابقة(١)، وفي مجمع رومة ١٨٦٩م قرر عصمة البابا، ومنح الكنيسة حق الغفران والحرمان.

وهذه الأحداث تؤكد تشكك الكنيسة ممثلة بأساقفتها في مسألة ألوهية المسيح، وتقر أنها عقيدة دخيلة على النصرانية، لم يعرفها المسيح ولا تلاميذه، وأنها من مبتدعات بولس(٢) والذين تأثروا به ممن كتبوا الأناجيل والرسائل، ثم المجامع

---

(١) تاريخ الأقباط ١٧٨/١، ١٧٩، زكي شنودة، جمعية التوفيق القبطية لجنة التاريخ والنشر، ط الأولى ١٩٦٢م مطبعة فايقة محفوظ. حدائق القبة. القاهرة، مدخل إلى تاريخ الكنيسة، ص ٨٢-٩٠ مجموعة الشرع الكنسي، بطريركية الأقباط الأرثوذكس، أسقفية الشباب. مركز تدريب الخدام، جمع حنانيا إلياس الحياة الكنسية، دار الجيل للطباعة، ط الأولى يولية ٢٠٠١م.

(٢) بولس ادعى أن عيسى كان إنسانا سماويا، سبقت عناصره الروحية في الوجود وجوده الجسدي، ومبدأ حياته الروح الإلهية نفسها فعيسى هو الروح، جاء إلى الأرض لينشىء إنسانية جديدة هو آدمها، يحررها من أثقال الخطايا بقبوله أن يعيش هيئة الإنسان،= =ويموت ميتة الإثم المشينة، إنه صورة الله الخفية، وهو أول الخلق، فشخصه إذا هو المكان الميتافيزيقي الذي يجتمع فيه الله والخليقة [النصرانية من التوحيد إلى التثليث، ص:

الكنسية التي وجدت في زمن متأخر، ومنذ ذلك الحين وحتى الآن وهم على الاعتقاد الفاسد، وقد حكى الله عنهم ذلك فقال: ﴿ لَّقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ ۘ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا إِلَٰهٌ وَاحِدٌ ۚ وَإِن لَّمْ يَنتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (٧٣) ﴾ [المائدة:٧٣]، وقوله: ﴿ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَٰذَا مِنْ عِندِ اللَّهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا ۖ فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا يَكْسِبُونَ (٧٩) ﴾ البقرة: ٧٩.

وتذكر دائرة معارف لاوس الفرنسية أن: "عقيدة التثليث وإن لم تكن موجودة في كتب العهد الجديد ولا في عمل الآباء الرسوليين ولا عند تلاميذهم المقربين إلا أن الكنيسة الكاثوليكية والمذهب البروتستنتي يدعيان أن عقيدة التثليث كانت مقبولة عند المسيحيين في كل زمان، ويظهر أن التثليث نشأ عن التأثر بالفلسفة الأفلوطونية الحديثة، فأفلوطين زعيم مدرسة الإسكندرية – من رجال القرن الثالث الميلادي (٢٠٥ – ٢٧٠ م) – كان يرى فيما يتعلق بالكون ومنشئه أن الله هو منشئ الأشياء لا يتصف بوصف من أوصاف الحوادث، ليس بجوهر ولا عرض، وليس فكراً كفكرنا ولا إرادة كإرادتنا، يتصف بكل كمال يليق به، ويفيض على كل الأشياء نعمة الوجود، ولا يحتاج هو إلى موجد، وأول شيء صدر عن هذا المنشئ هو العقل، وقد صدر عنه كأنه يتولد منه؛ ولهذا العقل قوة الانتاج، ولكن ليس كمن يولد عنه، ومن العقل تنبثق الروح التي هي وحدة الأرواح، وعن هذا الثالوث يصدر كل شيء، فوجه الشبه واضح كل الوضوح بين هذا المذهب من جهة، وعقيدة التثليث من جهة أخرى، وإذا لوحظ أن هذا المذهب كان منتشرا قبل مجمع

---

٢٠٠ د. محمد أحمد الحاج، دار القلم . دمشق، الدار الشامية . بيروت، ط الأولى ١٤١٣هـ/ ١٩٩٢م].

نيقية بأمد طويل، وأنه كان المذهب الفلسفي لمدرسة الإسكندرية، وأن بطريرك الإسكندرية الذي نشأ في هذا المذهب كان من أكبر المدافعين عن عقيدة التثليث في مجمع نيقية وفي المجمع القسطنطيني الأول، فكل هذا يرجح الاحتمال القائل بأن العقيدة المسيحية نشأت عن تأثر بالفلسفة الأفلاطونية الحديثة، أو بالبرهمية الهندية(١).

وما سبق يبين أنه لم يكن هناك شيء اسمه التثليث في العقيدة المسيحية، حتى ظهور الوثيقة المسماة بقانون الايمان، ولم يتم الاعتراف بجزء منه إلا بعد مجمع نيقية، ثم تم استكماله، ولك أن تتخيل أن المسيحية لم تكن قد استكملت إيمانها زمن عيسى (عليه السلام) أو حتى صورته إلا بعد ثلاث مجامع نيقية، والقسطنطينية ٣٨١، و٤٣١، كما أبانت أن الكنيسة التي تحارب الأصنام كما تدعي، تعبد صليبا مصنوعا من معدن أو خشب بدعوى أنه سر التثليث أو صلب عليه المسيح، وأن الذي لا يرسم الصليب على وجهه، أو لا يقبل صليبا صنع من خشب أو معدن لا تقبل عبادته.

وهذا التحول الديني يعتبر أخطر نكسة في حياة النصارى؛ لأنه هبط برسالة عيسى (عليه السلام) إلى مستوى عقيدة الوثنيين، وصدق فيهم قول الله تعالى: ﴿ وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ عُزَيْرٌ ٱبْنُ ٱللَّهِ وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَى ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ ٱللَّهِ ۖ ذَٰلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَٰهِهِمْ ۖ يُضَٰهِـُٔونَ قَوْلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَبْلُ ۚ قَٰتَلَهُمُ ٱللَّهُ ۚ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٣٠﴾ ﴾ [التوبة:٣٠] .



(١) الأسفار المقدسة، ص: ١٠٦، النصرانية في الميزان، ص: ٢٧، ٢٨.

المبحث الثاني
التحريف الممنهج للمسيحية

خلاف أريوس مع الكنيسة أظهر تحريف الكنيسة الممنهج للديانة النصرانية، وإذا كانت المجامع قد أخذت الحق في تقرير ألوهية المسيح فلا ضير إذاً أن تأخذ الحق فيما سواه من مسائل أقل منه درجة، وعلى هذا فالمصدر الحقيقي لتحريف المسيحية هو المجامع، ومن دلائل التحريف إحراق الكتب وإعدامها، وهو يثير تساؤلا مفاده لماذا تم رفض بقية الأناجيل رغم أن كتابها تعتبرهم الكنيسة قديسين؟ ولم كانت هذه الأربعة فقط هي وحي الله وما عداها ليس وحياً؟ ومن يضمن أن قرارات هذه المجامع معصومة من الخطأ، التي قلما كان يسلم أعضاؤها من الاختلاف بل كانت تنتهي غالبا بلعن بعضهم بعضا! لا شك أن أي عاقل لا يقبل أن يتحدد دينه واعتقاده وهو أهم ما لديه بهذه الطريقة.

والهيئة التي اختارت العهد الجديد هي التي قالت بألوهية المسيح، وكان اختيار ما أطلق عليه اسم العهد الجديد على أساس رفض الكتب المسيحية المشتملة على تعاليم غير موافقة لعقيدة مجمع نيقية وإحراقها كلها[(١)].

يقول الآب عبد الأحد داود: "لم يكن لجماعة النصرانية إلى حين انعقاد مجمع نيقية من كتاب ملهم رسمي غير كتب اليهود المقدسة العبرانية، وهي التوراة وما ألحق بها من أسفار الأنبياء، والذين تعاقبوا على الشعب اليهودي من بعد موسى (عليه السلام)، وذلك انتظاراً لكلام ملكوت الله الذي بشر عنه المسيح (عليه السلام)، وأنه سيأتي بعده، وأنه جاء مبشراً بمجيئه ثم يمضي قائلا: الأناجيل

---

(١) النصرانية والإسلام المستشار محمد عزت الطهطاوى مكتبة النور – القاهرة ١٩٨٧م، المسيحية – د. أحمد شلبي، ص: ٢٠٧ مكتبة النهضة المصرية . القاهرة، ط الثامنة.

المعتبرة الآن لم يعترف بها قبل القرن الرابع الميلادى؛ لذلك هذه السبعة والعشرين سفراً، أو الرسالة الموضوعة من قبل ثمانية كُتَّاب لم تدخل في عداد الكتب المقدسة، باعتبار مجموع هيئتها بصورة رسمية إلا في القرن الرابع، بإقرار مجمع نيقية العام وحكمه سنة ٣٢٥م، واجتمع في هذا المجمع من جميع أنحاء الأرض ألفا مبعوث روحاني وعشرات الأناجيل، ومئات الرسائل إلى نيقية لأجل التدقيق، وهناك تم انتخاب الأناجيل الأربعة من أكثر من أربعين إلى خمسين إنجيلاً، وتم انتخاب الرسائل الإحدى والعشرين من رسائل لا تُعد ولا تُحصى وتم التصديق عليها(١).

قسطنطين جمع الأساقفة الذين قالوا بهذه المقالة في دار خاصة، وقال لهم: قد سلطتكم اليوم على مملكتي لتصنعوا ما ينبغي لكم أن تصنعوه مما فيه قوام الدين!! وصلاح المؤمنين! فباركوا له، وقلّدوه سيفه؛ وقالوا له: أظهر دين النصرانية وذب عنه؛ لذلك أمر بإحراق كل الكتب التي تخالف رأي المجمع الأخير، واضطهاد المخالفين ممن يقولون بقول آريوس وأمثاله ولعنهم.

يقول المقريزي: "وأقبل على الثلاثماثة وثمانية عشر، وأمر لهم بكراسي، وأجلسهم عليها، ودفع إليهم سيفه وخاتمه، وبسط أيديهم في جميع مملكته، فباركوا عليه، ووضعوا له" كتاب قوانين الملوك وقوانين الكنيسة " وفيه كما يقول ابن البطريق: وضعوا له أربعين كتابا فيها السنن والشرائع، منها ما يصلح للملك يعملها ويعمل بها، ومنها ما يصلح للأساقفة كالمحاكمات والمعاملات والنكاح، وكتبوا بذلك إلى سائر الممالك(٢).

---

(١) النصرانية والإسلام للطهطاوي، ص: ١٩ بتصرف.

(٢) تاريخ الأقباط للمقريزي، ص ٥٥ وما بعدها بتصرف.

فتتبع أنصار بطريق الإسكندرية كل كتاب يناقض مقالتهم بالإبادة، وحرموا تداول الأفكار التي تناقض مقالتهم في الثالوث وغيره، وتم اختيار الرسائل السبعة والعشرين وحدها من بين تلك الأكوام العظيمة من الكتب التي لا تسعها أية خزانة واحدة ورد الباقية منها ومحوها، ولا شك أن هذا حمل للنفوس على قراءة وتعلم رأي واحد وحجب لما عداه ومنع الناس من قراءة غيره، وسد لمنافذ الاهتداء إلى ما يخالفه.

والمجمع بهذا فرض نفسه على الناس حكومة وجماعة كهنوتية تلقي على الناس أوامر الدين، وعليهم أن يطيعوا راغبين أو كارهين، وقرر أن تعاليم الدين التي لا يتلقونها من كتب المسيحية رأساً، بل لابد من تلقيها من أفواه العلماء ورجال الكهنوت، وأن أقوالهم حجة، سواء أخالفت النصوص أم وافقت، سواء أكانت الصواب، أم جافت الحق، وأن ذلك كان ما بعده في المسيحية، وهو مخالف كل المخالفة لما جاء في تعاليم المسيح المنصوص عليها(١).

وتقرر وضع جميع الأناجيل المختلفة تحت طاولة في قاعة المجمع ثم غادر المجتمعون القاعة، وأقفل بابها، ثم طُلب من الأساقفة أن يصلوا طوال الليل من أجل أن ترتفع النسخة الصحيحة من الإنجيل إلى أعلى الطاولة، وفي الصباح وجدت الأناجيل المقبولة لدى أثناسيوس، ممثل أسقف الإسكندرية مرتبة بنظام فوق الطاولة، وعندئذ تقرر إتلاف جميع الأناجيل حرقًا، وهي التي بقيت تحت الطاولة، ولا يوجد ما يشير إلى الشخص الذي احتفظ بالمفاتيح في تلك الليلة(٢).

وبعد عام من مجمع نيقية، أمر قسطنطين بإتلاف جميع الأعمال التي تعارض التعاليم الأرثوذكسية، وهي أعمال ذات صلة بيسوع كتبها مسيحيون لم

---

(١) محاضرات في النصرانية، ص: ١١٧.

(٢) الفرق والمذاهب، ص ٨٥.

يرضوا عنهم، ورصد مبالغ ثابتة وقفها على الكنيسة، وفي عام ٣٣١م، كلف لجنة بإعداد نسخ جديدة من "الكتاب المقدس"، ورصد لها المال اللازم. وكان هذا من العوامل الحاسمة في التاريخ المسيحي قاطبة(١).

ويبدو أن ما توفر لهذه اللجنة من نسخ تعتمدها، لكي تنسخ عنها أناجيل جديدة، كان قليلا لأن الإمبراطور ديوكلسيانونس أمر بإتلافها عام ٣٠٣، وجماعة العلماء الذين وقفوا على تحرير المسائل المسيحية في دائرة المعالم الفرنسية " لا روس القرن العشرين " يذهبون إلى أن التحقيق العلمي والتاريخي يؤيد أن هذه الأناجيل قد كتبها أناس غير الحواريين والتلاميذ والتابعين الذين تنسب إليهم(٢).

واختيار أربعة مؤلفات مع عدم إبداء أسباب تبرر ذلك يعتبر إجراءً قسريا، وتحريفا ممنهجا يعبر عن رعونة وصلف، ومن عجب أن الكنيسة لم تحفظ الأناجيل الأربعة نفسها من التحريف بعد أن فرضتها على أتباعها، يقول: "لاندر" أحد مفسري الأناجيل: "حكم على الأناجيل المقدسة لأجل جهالة مصنفها بأنها ليست حسنة بأمر اناسطيوس في الأيام التي كان فيها "مسالة" حاكماً في القسطنطينية فصححت مرة أخرى" وهذا اعتراف بالغ الخطورة، يقرر ثلاث حقائق تاريخية:

١- أن مؤلفي الأناجيل مجهولون، وظلوا كذلك حتى القرن الرابع الميلادي.

٢- أن لأهواء الحكام وميولهم يداً فيما تعرضت له الأناجيل من تحريف باسم التصحيح.

---

(١) الفرق والمذاهب، ص: ١٧، الاختلافات فى الكتاب المقدس، ص: ٩.

(٢) الأسفار، ص ٨٠.

٣- أن التحوير والتعديل ظل يمارس في الأناجيل دون شعور بالحرج، مما يدل على أنه مألوف لديهم، وقد أورد الشيخ "رحمة الله الهندى" خمسة وأربعين شاهداً على التحريف بالزيادة في الأناجيل، مدعمة بالوثائق والاعترافات(١).

وهذه شهادة إثناسيوس الرسولي الذي قال: "إن آباء نيقية عندما أصدروا حكمهم في قضية الفصح قالوا: هذا ما وجدناه حسنا"(٢)، والذي فعلوه قضى بحبس الانجيل الحقيقي، والاناجيل الموجودة بأيديهم الآن لايُدرى من أين أخذت معلوماتها، وهذا انحراف وتحريف ممنهج خرج بالنصرانية عن وجهها الصحيح، لعدم سماحهم بتداول الكتب التي أحرقت بين الناس وربما كان فيها النافع أو المفيد، أو ما يدل على الصواب ويرشد إليه، وقصروا تعليم الدين على ما يقوم القساوسة بتلقينه للناس، وبهذا يكون من الجهد الضائع محاولة العثور على حكمة واحدة أو وحي أو أية رسالة مرفوعة إلى عيسى (عليه السلام) بلغته الخاصة، ويتحمل مجمع نيقيه إلى الأبد مسئولية جريمة ضياع الإنجيل بلغته الآرمية الأصلية، أو أجزاء منه على الأقل، وهذا ما يؤكده قول الحق (تعالى): ﴿ فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَٰقَهُمْ لَعَنَّٰهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَٰسِيَةً ۖ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ ۙ وَنَسُوا۟ حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ ۚ وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَىٰ خَآئِنَةٍ مِّنْهُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ ۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱصْفَحْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٣﴾ ﴾ [المائدة: ١٣] وقوله تعالى: ﴿ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ ٱلْكِتَٰبَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَٰذَا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ لِيَشْتَرُوا۟ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا ۖ فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا يَكْسِبُونَ ﴿٧٩﴾ ﴾ [البقرة: ٧٩].

(١) إظهار الحق رحمة الله الهندي، ص ٢٩٦.

(٢) تاريخ الكنيسة منسي، ص: ٢٦٩.

ومن المظاهر التي تؤكد التحريف استغناء الكاثوليك عن المجامع والكتب المقدسة عندما أثبتوا عصمة البابا، ونقلوا سلطة إصدار القرارات وتعيين المعتقدات والأحكام إليه، يقول عبد الأحد داوود: إن كنيسة الكاثوليك فقهت منذ البدء حقيقة الكتب المسماة بالإنجيل، فهي تعترف بأن الكتب الإنجيليه الموجودة في عالم النصرانية لا تحتوي على جميع الوحي والإلهامات النازلة على المسيح، وتعتقد أن قسماً من تعليم المسيح مندرج في السفر المسمى بالإنجيل بصورة الوحي، والقسم الآخر قد عهد به إلى التلاميذ (الحواريين) ثم فوض بالتسلسل منهم إلى الكنيسة ... ثم قال: وصفوة القول لا حكم للإنجيل في نظر الكاثوليك، وأي حاجة إلى الكتب المقدسة لقوم يعتقدون أن كل ما قرره حبر رومية الأعظم الجالس على كرسي الخلافة البطرسية وحكم به فيما يعود إلى الأحكام والأخلاق العيسوية فهو قطعي تجب طاعته، لأنه قد وهب من عند الله تعالى صفة العصمة[١].

وفي العصر الحديث تأكد الباحثون من "لا تاريخية الكتاب المقدس" كما يقول د. يوسف الكلام "وذلك من نظرة هذا الكتاب إلى الماضي القديم، إذ يطغى على نظرته الكثير من الخرافة، وغياب سياق تاريخي يعول عليه، الأمر الذي شكل عائقا كبيرا أمام الباحثين الذين أرادوا دراسته، ومع ذلك اعتُمد هذا التاريخ الخرافي زمنا طويلا في التأريخ للعالم القديم، إن ما جعل الباحثين في السنين الأخيرة يشكون في الروايات والأحداث الواردة في الكتاب المقدس بعض الأمور المتعلقة بطبيعة الكتاب نفسه، فالتكرار البين للقصص التي يرويها عن شخصيات مختلفة زمانيا ومكانيا، أثارت أكثر من علامة استفهام عن مدى صدقه[٢].

---

(١) الأنجيل والصليب، ص: ٢٣.

(٢)تاريخ وعقائد الكتاب المقدس، ص: ٢٦١، ٢٦٣ دار صفحات للدراسات والنشر – دمشق، ط الأولى ٢٠٠٩م.



المبحث الثالث
تضارب المجامع الكنسية وزيفها

إزاء تعدد أقوال النصارى في المسيح (عليه السلام) تعددت المجامع الكنسية وكثرت، وكل منها عقد . غالبا . لمعالجة مشكلة، أو مناقشة قضية كثر فيها الجدل، واحتدم فيها الصراع، ونشأ عنها خلاف، فكانوا يجتمعون على مقالة وينفضون على لعن من خالفهم، وذكر المؤرخون ما يزيد على خمسين مجمعا في مائة سنة للوصول إلى صيغة ملائمة للعقيدة وقرار نهائي عن طبيعة المسيح، ولا يسع المقام لذكرها جميعا وهذا ذكر لبعضها إجمالا من بعد نيقية سنة ٣٢٥م إلى ٣٦٩م، قرابة ٤٤ سنة على النحو التالي:

١. **أنطاكية ٣٣٠م:** لفصل نزاع يوساب أسقف قيسارية، ويوستاتيوس أسقف أنطاكيا بعد اتهام كل منهم الآخر بالخروج عن الإيمان النيقي.
٢. **قيسارية سنة ٣٣٣م:** لتبرئة اثناسيوس من الاتهامات الموجهة إليه من الآريوسيين والمليتيين.
٣. **صور ٣٣٥م:** كان استكمالا لمجمع قيسارية، أرغم أثناسيوس على حضوره، بخطاب تهديد بعث به قسطنطين متوعدا إياه بحمله عنوة إذا لم يأت طائعا، وحدثت مشادات وخلافات، انتهت إلى الملاكمات بالأيدي، وضرب أثناسيوس على رأسه لتخرج منه الوثنية، فانسل خفية نحو القسطنطينية، فأصدروا حكما بعزله من منصبه، وحررت رسالة إلى جميع أساقفة المسكونة تبين تغيب أثناسيوس عن مجمعي قيصرية وصور وامتناعه عن الإجابة عما وجه إليه من تهم، وأمر قسطنطين بنفيه إلى تريف، صدر قرار هذا المجمع بوحدانية الله وأن المسيح رسول فقط [١].

---

(١) كنيسة أنطاكية ١ / ٢١٣، ٢١٤، أضواء على المسيحية، ص: ٩٩.

٤. **أورشليم ٣٣٥م:** تتمة للمجمعين السابقين، تم التصديق فيه على قرارات مجمع صور، وتبرئة آريوس وقبوله فى شركة الكنيسة ثانية، والسماح له بالعودة إلى الإسكندرية.

٥. **الإسكندرية ٣٣٨/ ٣٣٩م:** دعا إليه أثناسيوس من منفاه، للتصدي لمحاولات الآريوسيين التي تستهدف التخلص منه، وأُعلن فيه تبرئته.

٦. **أنطاكية٣٣٨/ ٣٣٩م:** دعا له اليوسابيون خصوم إثناسيوس، واختاروا جريجوري الكبادوكي الآريوسي ليعتلي كرسي الإسكندرية الأسقفي بدلا من أثناسيوس.

٧. **روما ٣٤٠م:** عقد بعد فرار أثناسيوس من الإسكندرية والتجائه إلى روما، وأيدت قرارات المجمع أثناسيوس والأساقفة الذين عزلهم الآريوسيين.

٨. **إنطاكية٣٤٠/٣٤١م:** عرف بمجمع التدشين نسبة لافتتاح الكنيسة المثمنة التي بدأها قسطنطين، وصدر عنه المرسوم اللوقياني حُكم فيه بعزل إثناسيوس وتعيين يسطس مكانه، وعقد مجمع في الإسكندرية رد على قرارات هذا المجمع[1].

٩. **سرديكا ٣٤٣م:** كان هدفه الوصول إلى صيغة ملائمة للعقيدة المسيحية، وانتهى بالانقسام بين أساقفة الشرق والغرب، فتمسك الغربيون بقانون الإيمان النيقي، وأدانوا أساقفة الشرق.

١٠. **فيليبوبوليس ٣٤٣م:** الشق الثاني من مجمع سرديكا، ضم الجزء الشرقي من الإمبراطورية (الآريسيون)، وأعلنوا تمسكهم بالمرسوم الأنطاكي الرابع، مع بعض الإضافات اليسيرة.

(١) تاريخ الكنيسة، منسي القمص، ص ١٥٧، الدولة والكنيسة ٣ / ٤٠٣.

١١. **أنطاكيـة ٣٤٤م:** صـدق علـى عـزل اسـطفانوس أسـقف أنطاكيـة، واختيـار ليونتيـوس بـدلا منـه، وصـدرت صـورة جديـدة لمرسوم أنطاكيـا الرابـع، وأدان فوطين أسقف سيرميوم القائل بأن المسيح محض إنسان وأنكر وجوده قبل كل الدهور.

١٢. **أورشـليم ٣٤٦م:** أعلـن فيـه الترحيـب بعـودة أثناسـيوس مـن نفيـه الثـاني، وتأييده.

١٣. **سـرميوم الأول ٣٤٧م:** أدان فـوطين لآرائـه فـي المسـيح، وظـل أسـقفا لمدينته.

١٤. **سـيرميوم الثـاني ٣٥١م:** تقـرر فيـه إدانـة فـوطين، وعزلـه مـن كرسـية الأسقفي، وأصدر وثيقة إيمان عرفت بمرسوم سيرميوم.

١٥. **آرل ٣٥٣م:** عقـد بعـد انتحـار مـاجننتيوس، ووافـق الجميـع علـى إدانـة أثناسيوس.

١٦. **ميلانو ٣٥٥م:** امتداد لمجمع آرل شهده أساقفة الغرب وأعطوا فيه توقيعهم علـى إدانـة أثناسـيوس، وتـم نفـي أسـاقفة ميلانـو، وفرسـالي ولوكيفريـوس لشذوذهم عن رأي المجمع.

١٧. **بيتراي ٣٥٦:** تم فيه إدانة أسقف بواتيه بعد أن أعلن تأييده أثناسيوس.

١٨. **سيروم الثالث ٣٥٧م:** صدر عنه ما عرف بمرسوم سيرميوم الثاني، أنكر ألوهية الابن تماما ووضع صوررة إيمان جديدة حذف فيها لفظـة الجوهر من قـانون مجمـع نيقيـة، وأعلـن أن الاب أعظـم مـن الابـن فـي الرتبـة والمجـد، وعرفت هذه بالعقيدة الأنوموية.

١٩. **أنطاكية ٣٥٨م:** صدق على مرسوم سيرميوم الخاص بالعقيدة الأنوموية.

٢٠. **أنقرة ٣٥٨م:** أصدر صيغة جديدة للإيمان عرفت بالهوموسية التي تعني مشابة الابن للآب في الجوهر، وعرف هؤلاء بأنصاف الآريوسيين.

٢١. **سيرميوم الرابع ٣٥٨م:** عقد للتوقيع على مرسوم الهومويوسية في مجمع أنقرة السابق.

٢٢. **ريميني ٣٥٩:** ظهر الانقسام فيه واضحا بين الآريوسيين والنيقيون، وفشلوا في الوصول إلى اتفاق، فاقتيدوا جميعا بناء على أوامر الإمبراطور إلى االتوقيع على مرسوم ريميني الذي يبرز التشابه بين الإبن والأب دون تحديد لنوعيته وهو ما عرف بالعقيدة الهوموية.

٢٣. **سلوقية ٣٥٩:** الشق الثاني لمجمع ريميني، حضره الآريوسيون فأطلق عليه المجمع المزدوج (الأنومويون والهومويون) وأنصاف الآريوسيون وقاموا بتأييد العقيدة الهوموية، وأخفق المجمع في الوصول إلى التوقيع على مرسوم إيمان نيقية.

٢٤. **نيقا ٣٥٩م:** اختيرت هذه المدينة حتى يختلط مرسوم الإيمان الصادر فيها بمرسوم الإيمان في المجمع الأول سنة ٣٢٥، وأكدوا فيه العقيدة الهوموية، وهو مرسوم ريميني وسلوقية.

٢٥. **القسطنطسنية ٣٦٠:** تتمة لمجامع ريميني وسلوقية ونيقيا، وفيه تقرر التصديق النهائي على مرسوم إيمان نقيا.

٢٦. **أنطاكية ٣٦١م:** أصدر قانون إيمان جديد يتخلي عن الهوموية ويعود إلى الأنوموية ثانية.

٢٧. **الاسكندرية ٣٦٢:** عقد بعد عودة اثناسيوس من نفيه الثالث، ناقش إصلاح الشقاق الحادث في كنيسة أنطاكية بين اليوستاتيين والمليتيين، وقبول

الآريوسيين الذي صدقوا على قرار ريميني ويريدون العودة إلى الكنيسة الكاثوليكية ثانية.

٢٨. **أنطاكية ٣٦٤:** فسر اصطلاح الهوموية بالتشابه فى الجوهر، ورفعوا رسالة إلى الإمبراطور جوفيان بذلك.

٢٩. **لامساكوس ٣٦٤م:** تمسك بصيغة مجمع أنقره أن الهومويوسية تعني التشابه فى الجوهر، ورفض قانون الإيمان الذي تم التصديق عليه في مجمع القسطنطينية.

٣٠. **صقلية ٣٦٥م أو ٣٦٦:** أعلن الإيمان بالهوموسية وإنكار قرارات مجمع ريميني، وفسر مصطلح الهومويوسية بأنه لا يختلف كثيرا عن الهوموسية.

٣١. **الطوانة ٣٦٦:** التقى فيه أنصاف الآريوسيين والماكيدونيون، وأعادوا الاعتراف بالهوموسية، بعد تلقيهم رسالة من ليبريوس أسقف روما، وأخرى من مندوبيهم في صقلية.

٣٢. **كاريا ٣٦٧م:** عارض مصطلح الهوموسية وأقر المرسوم اللوقياني الأنطاكي الثاني.

٣٣. **روما ٣٦٩م:** أعلن التمسك بالإيمان النيقي ورفض مرسوم ويميني.

٣٤. **الإسكندرية ٣٦٩:** دعا إليه أثناسيوس، أيد أسقف روما داماسوس في جهوده لعزل أوكسنتيوس الآريوسي من أسقفية ميلانو[١].

وقد جاء في كتاب الصراع بين الدين والعلم لـ "دارابر" أن ثلاثة عشر مجمعاً مسيحياً حكمت ضد أريوس في القرن الرابع المسيحي، وخمسة عشر مجمعاً

---

(١) قمت ببعض التجميعات من عدة مراجع لهذه المجامع وبعد حوالي ٢٠ مجمعا وجدت عرضا أفضل للدكتور رأفت عبد الحميد في كتابه الدولة والكنيسة ٣/ ٤٠٥ – ٤١٣ فاستعنت به واستفدت منه.

حكمت في تأييده، وسبعة عشر مجمعاً أدلت برأي قريب من رأي "أريوس" وهكذا عقدت خمسة وأربعون مجمعا للتقرير في هذه القضية التي أثارها أريوس(١).

وهكذا برز تخبط قرارات المجامع، التي كونت الديانة النصرانية، ووضعت أهم أسسها، وصار من الأمور التي يرثى لها أن ترى عددا ممن يسمون برجال الدين، يجعلون عقائد الناس أهواء لهم فيضعون مراسيم الايمان بهوس ويفسرونها بعصبية تارة أخرى، وترفض واحدة وأخرى ترضي عنها، ثم تتناولها من هنا وهناك أيدي المجامع، بدعوى التشابه الكامل أو الجزئي بين الأب والابن، وبذا صرنا نسمع مع انبلاجة كل فجر جديد، عقائد جديدة تخرج وتكفر طائفة أو تلعن أخرى وتطرد وهكذا إلى زماننا، وهذا هو الهلاك بعينه، والويل في الدنيا والآخرة الذي أخبر الله عنه بقوله: ﴿ فَٱخْتَلَفَ ٱلْأَحْزَابُ مِنۢ بَيْنِهِمْ ۖ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن مَّشْهَدِ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٣٧﴾ ﴾[مريم: ٣٧]، وقوله: ﴿ فَٱخْتَلَفَ ٱلْأَحْزَابُ مِنۢ بَيْنِهِمْ ۖ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنْ عَذَابِ يَوْمٍ أَلِيمٍ ﴿٦٥﴾ ﴾ [الزخرف: ٦٥]، ومن خلال دراسة هذه المجامع يتضح عدة أمور إجمالها في النقاط التالية:

١. أن غالبيتها كان المصدر الأساس في الانحراف العقدي، فما من عقيدة يؤمن بها النصارى اليوم، إلا وأقرت في مجمع منها، وهذه المعارك أخفت معالم المسيحية إلى درجة أن رجالها وعلماءها مازالوا في خلافات يعقدون لها المجامع لتأييد آراء جانب منهم.
٢. معظم القررات التي اتخذتها المجامع، لم تقرر بأغلبية عامة مطلقة، ولكن اتخذت بالأغلبية المغلوبة على أمرها.

---

(١) السيرة النبوية للندوي، ص: ٣٠٦ بتصرف يسير.

٣. هل يمكن أن يترك الله عباده في حيرة دون بينة واضحة أو كتاب منير ليحددوا طبيعة إلههم وكتبهم المقدسة من خلال مؤتمرات خضعت فيها للأهواء والمصالح وحب الرياسة؟ أم أن الحق واضح، لكن اختلاف الكهنة والعلماء واتباع الأهواء أذهب به؟

٤. المجامع مطلقا المسكونية، أو الملية المذهبية أو الإقليمية[١]، اجتمعت تحت ظروف، أغلبها سياسية أوشخصية، ومعظمها لم يتصل بناحية العقيدة، رغم أن الجدل حول الآب والكلمة، كان الباعث الرئيس لمعظم هذه المجامع والأحداث التي تلتها.

٥. هل يكفي في مسائل العقيدة الرجوع إلى الفكر البشري وحده؟ وإذن فما هو الفرق بين الفلسفة والديانة المسيحية إذا كان الكل مرجعه الفكر والعقل؟

٦. ألا يكفي الانجيل في تفسير وتفصيل العقيدة المسيحية؟ وإذا لم يك كافيا فأي مصدر موثوق يمكن الاعتماد عليه؟ وهل المجامع بحثت قضايا العقيدة على ضوء نصوص الدين فاستدلت بآيات من التوراة والانجيل أو مواقف صحيحة السند والنسبة إلى عيسى (عليه السلام)، وما هي هذه النصوص، ولِمَ لمْ تثبت، أم أنها عقدت على ضوء العصبية الذاتية، والمعضلات العقلية، والقضايا الفلسفية؟

وختام الحديث على المجامع ما ذكره زكي شنودة: "كانت هذه المجامع في بداية أمرها وسيلة للدفاع عن الإيمان المسيحي، ثم لم تلبث أن أصبحت بعد ذلك أداة في يد الإمبراطور، لتنفيذ أغراضه، مستغلا في ذلك بعض الأساقفة وطموحهم إلى الجاه والنفوذ والسلطان، وهكذا أصبحت المجامع أداة هدم بعد أن كانت أداة

(١) محاضرات في النصرانية، ص: ١١١، مدخل إلى تاريخ الكنيسة، ص ٣٩.

بناء، وقد فتحت الباب على مصراعيه للخصوم والشقاق بين المسيحيين في البلاد المختلفة"[١].



---

(١) تاريخ الأقباط ١/ ١٧٦.

المبحث الرابع
بروز تناقض النصارى في طبيعة المسيح

إذا كانت المجامع تضاربت وتناقضت فمن باب أولى العامة، واعتقاد النصارى تناقض في طبيعة عيسى (عليه السلام)، واضطرب اضطرابا كثيراً، حتى قيل: لو اجتمع عشرة نصارى لتفرقوا على أحد عشر قولا، لهذا قال طائفة من العقلاء: إن عامة مقالات الناس يمكن تصورها إلا مقالة النصارى، وذلك أن الذين وضعوها لم يتصوروا ما قالوا، بل تكلموا بجهل، وجمعوا في كلامهم بين النقيضين، وقال بعضهم: لو سألت بعض النصارى وامرأته وابنه عن توحيدهم لقال الرجل قولا، وامرأته قولا آخر، وابنه قولا ثالثا[1].

ويقول رحمة الله الهندي: تنصر ثلاثة أشخاص وعلمهم بعض القسيسين العقائد الضرورية سيما عقيدة التثليث، وكانوا في خدمته فجاء محب من أحبَّاء هذا القسيس وسأله عمن تنصر؟ فقال: ثلاثة أشخاص تنصروا، فسأل هذا المحب: هل تعلموا شيئاً من العقائد الضرورية، فقال: نعم، وطلب واحداً منهم ليرى محبه فسأله عن عقيدة التثليث، فقال: إنك علمتني أن الآلهة ثلاثة أحدهم الذي هو في السماء والثاني تولد من بطن مريم العذراء والثالث الذي نزل في صورة الحمام على الإله الثاني بعد ما صار ابن ثلاثين سنة، فغضب القسيس وطرده، وقال: هذا مجهول، ثم طلب الآخر منهم وسأله فقال: إنك علمتني أن الآلهة كانوا ثلاثة وصلب واحد منهم فالباقي إلهان، فغضب عليه القسيس أيضاً وطرده، ثم طلب الثالث وكان ذكياً بالنسبة إلى الأولين وحريصاً في حفظ العقائد

---

(١) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح ٢/ ١٥٥. شيخ الإسلام ابن تيمية، مطبعة المدني، المؤسسة السعودية بمصر سنة ١٣٨٣هـ.

فسأله فقال: يا مولاي حفظت ما علمتني حفظاً جيداً وفهمت فهماً كاملاً بفضل الرب المسيح أن الواحد ثلاثة والثلاثة واحد وصلب واحد منهم ومات فمات الكل لأجل الاتحاد، ولا إله الآن وإلا يلزم نفي الاتحاد(١).

واختلافهم في الطبيعة جعلهم فرقا كل منها تكفر الأخرى، والمنقول عنهم في ذلك مضطرب كثير الاختلاف، فقالوا للمسيح طبيعتان، لاهوتية: وهي طبيعة كلمة الله وروحه، وناسوتية: أخذت من مريم العذراء واتحدت به.

أبولينار على سبيل المثال تأثر بالفلسفة الأفلاطونية، وقال: لم يكن للمسيح إلا طبيعة واحدة هي الطبيعة الإلهية، إذ إن الجسد، بحد ذاته، ليس الطبيعة الإنسانية، ولم يكن لأفعال المسيح بعد ذلك إلا أصل واحد ترد إليه فيتولاها، وهذا الأصل هو الطبيعة الإلهية بالذات، وكُفّرت أقواله في مجمع الإسكندرية سنة ٣٦٢م، وفي مجمع القسطنطينية ٣٨١م.

النسطورية قالوا للمسيح أقنومين، فالذي تألم، وصلب، ومات، الإنسان في يسوع (الناسوت) دون يسوع ابن الله (اللاهوت)، وما دامت الطبيعتان البشرية والإلهية منفصلتين بعضهما عن بعض، لم تكن مريم أم الله، وانتهى الحال بهم أن كفرو من قال بهذا في مجمع أفسس ٤٣١م وعزله، ومنعه من نشر آرائه، وبمثل هذا قال ثيودوروس المصيصي (٣٥٠ – ٤٢٨) قال: إن مريم ليست أم الله إلا بالمعنى الإضافي أو المجازي، وأن يسوع ليس ابن الله حقا وفعلا(٢).

وصار كل منهم يقول ما يظن أنه أقرب من غيره، فمنهم من راعي لفظ أمانتهم وإن صرح بالكفر الذي يظهر فساده لكل أحد كاليعقوبية، ومنهم من ستر بعض ذلك كالنسطورية، وكثير منهم بين هؤلاء وهؤلاء وهم الملكانية، ولما ابتدعوا

---

(١) إظهار الحق، ص: ٢٧١.

(٢) الفرق والمذاهب المسيحية، ص: ٨٩ – ٩١ باختصار.

التثليث والحلول، كان فيهم من يخالفهم في ذلك، ونقل الناس لمقالاتهم اختلف بحسب قول الطائفة التي ينقل قولها، فقد قالوا: إن القديم واحد بالجوهر، ثلاثة بالأقنوم، ويعنون بالأقنوم: الوجود والحياة والعلم، ونقلوا عنهم: أن الحياة والعلم ليسا بوصفين زائدين على الذات موجودين، بل هما صفتان نفسيتان للجوهر.

وذهب كيرلس الإسكندري (٣٧٥ - ٤٤٤م) إلى أن الوحدة الأصلية في المسيح هي وحدة الكلمة، اتحدت بالمسيح وتدرعت بالناسوت، ثم اختلفوا في معنى الاتحاد فمنهم من فسره بالاختلاط والامتزاج، وهذا مذهب اليعقوبية والنسطورية والملكانية، قالوا: إن الكلمة خالطت جسد المسيح ومازجته كما مازج الخمر الماء أو اللبن، وذهبت طائفة من اليعاقبة إلى أن الكلمة انقلبت لحما ودما، وقالوا: وصارت شرذمة من كل صنف إلى أن المراد بالاتحاد ظهور اللاهوت على الناسوت كظهور الصورة في المرآة، والنقش في الخاتم، واختلفوا أيضا في الجوهر والأقانيم فذهبت اليعقوبية والنسطورية إلى أن الجوهر ليس بغير الأقانيم.

وصرحت الملكانية بأنه غير الأقانيم، وآخرون قالوا: هو الأقانيم، وذهبت الروم إلى التصريح بإثبات ثلاثة آلهة، وامتنعت اليعقوبية والنسطورية من ذلك في وجه والتزموه من وجه، ذلك أنهم قالوا: الكلمة إله والروح إله والأب إله، والثلاثة الأقانيم التي كل أقنوم إله، إله واحد، وقال فريق منهم: إن كل واحد منها لا هو الآخر، ولا هو غيره، وليست متغايرة ولا مختلفة، وزعموا أن الجوهر ليس هو غيرها إلا ما ذكر عن طائفة من الملكانية، قالوا: إن الأقانيم هي الجوهر غير الأقانيم، وزعموا أن الجوهر هو الأب، والأقانيم الحياة، وهي روح القدس، والقدرة، والعلم، وأن الله اتحد بأحد الأقانيم الذي هو الابن بعيسى ابن مريم، وكان مسيحا عند الاتحاد، لاهوتا وناسوتا، حمل، وولد، ونشأ، وقتل، وصلب، ودفن.

وقالت النسطورية: المسيح جوهران أقنومان قديم ومحدث، واتحاده إنما هو بالمشيئة، ومشيئتهما واحدة وإن كانا جوهرين، وقالت اليعقوبية: لما اتحدا صار

الجوهران القديم والمحدث جوهرا واحدا، وقال بعضهم: الجوهر المحدث صار قديما، وزعم آخرون أنهما لما اتحدا صارا جوهرا واحدا قديما من وجه محدثا من وجه آخر، وقالت الملكانية: المسيح جوهران أقنوم واحد، وقالت الأريوسية: الله ليس بجسم ولا أقانيم له، والمسيح لم يصلب ولم يقتل، وأنه نبي، وحكي عن بعضهم أنه قال: المسيح ليس بابن الله، وحكى عن بعضهم أنه ابن الله على التسمية والتقريب.

ويوضح تناقضهم قولهم: إن المسيح وهو اللاهوت والناسوت شخص واحد وأقنوم واحد مع قولهم أنهما جوهران بطبيعتين ومشيئتين فيثبتون للجوهرين أقنوما واحدا، ويقولون: هو شخص واحد، ثم يقولون: إن رب العالمين إله واحد، وأقنوم واحد، وجوهر واحد، وهو ثلاثة أقانيم، فيثبتون للجوهر الواحد ثلاثة أقانيم، وللجوهرين المتحدين أقنوما واحدا، مع أن مشيئة الأقانيم الثلاثة عندهم واحدة، والناسوت واللاهوت يثبتون لهما مشيئتين وطبيعتين، ومع هذا هما عندهم شخص واحد، أقنوم واحد، وهذا يقتضي غاية التناقض سواء فسروا الأقنوم بالصفة، أو الشخص، أو الذات مع الصفة، أو أي شيء قالوه[١].

في مجمع خلقيدونية عام ٤٣١م، تقرر أن الطبيعتين منفصلتين: إحداهما لا هوتية والأخرى ناسوتية يلتقي بهما المسيح مع الله، ومع الناس، وذلك في مواجهة رأي ديسكورس بطريرك الاسكدرية القائل بالطبيعة الواحدة، وأن اللاهوت والناسوت اجتمعا في المسيح، عند هذا انتهت عقيدة التثليث بقرارات تواجه وتعارض وتحارب، فهل انتهى العراك عند تحديد العقيدة المسيحية بهذا الثالوث[٢].

---

(١) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح: ٤/ ٧٦- ٨٦.

(٢) أضواء على المسيحية، ص: ١٠٧ . ١٠٩.

وطبيعة المسيح هذه أساس عقيدتهم، ورغم ذلك رأيت أن أقوالهم متناقضة يمتنع تصورها على الوجه الصحيح، وليس لهم فيها قول معقول، ولا دليل عليه من نص صحيح في كتاب مكنون.

ولم يكن الخلاف منصبا على العلاقة بين الأب والإبن فقط ولكن امتد إلى شخص المسيح نفسه هل له طبيعة ومشيئة واحدة كما يقول (يعقوب براديوس) أم له طبيعتان ومشيئتان متحدتين اتحادا وثيقا (مجمع خلقدونية الأول ٤٥١م) ويعرف هدا بالمذاهب الملكاني. وقد أيد مجمع القسطنطينية ٥٥٣م مذهب الطبيعة الواحدة متجاهلا قرار مجمع خلقدونية السابق باعتبار المسيح ذو طبيعتين، طبيعة إلهية والأخرى إنسانية.

وأخيرا اختلفوا في القول بالمشيئة الواحدة في عيسى (عليه السلام) حين دعا لهذا البطريرك القسطنطيني سرجيوس (٥٣١ – ٦٣٨م) وعرف القائلين بهذا الرأي "بالمونوتيلية"، أو أصحاب المشيئة الواحدة، وكان منهم الموارنة، ولقي هذا القول من صفرنيوس أسقف القدس في عهد عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) مقاومة، ولم يوافقه البابا سرجيوس على ذلك وقال: "إنا نعترف بمشيئة في ربنا يسوع المسيح، لأنه واضح اللاهوت تولى ناسوته بكل ما فيه ما عدا الخطيئة"، وكتب هرقل مرسوما تضمن الصيغة نفسها فقال: "إنا نعترف بمشيئة واحدة في ربنا يسوع المسيح الإله الحقيقي" لطن البابوات الذين خلفوا هونوريوس ارتدوا عما ذهب إليه، الأمر الذي أحدث انشقاقا بين بيزنطة والكنيسة الكاثوليكية بروما، انتهى إلى عقد مجمع القسطنطينية الثالث ٦٨٠، ٦٨١م وقرروا فيه وجوب الإيمان بأن في المسيح فعاليتين طبيعيتين[١].

المبحث الخامس

انفصال الكنائس الشرقية والغربية

---

(١) الفرق والمذاهب المسيحية، ص: ١٠٣– ١٠٥ باختصار.

مجمع نيقية كان بداية معركة واجهت الكنيسة ولا تزال، فبعد اجماعهم على التثليث، واعتناق معظمهم له، اختلفوا في طبيعة المسيح – كما سبق – هل هي طبيعة إلهية واحدة؟ أم اثنتين إحداهما إلهية والأخرى إنسية؟ وأخذ بمذهب الطبيعة الواحدة، اليعاقبة – نسبة إلى يعقوب البرادعي – وهو مذهب الكنائس الشرقية، وأخذ بمذهب الطبيعتين جميع الكنائس الأخرى وهو مذهب الكاثوليك – الملكانية –، وانقسمت الكنيسة إلى يونانية ولاتينية، وتبع ذلك انقسام وانشقاق في المسيحية كلها.

فأصبحت كنائس الشرق تحت قيادة كنيسة الإسكندرية تُعرَف بالكنائس "الأرثوذكسية"، وهي ثلاث:

الأولى: الكنيسة الأرثوذكسية في مصر، والحبشة نسبة إلى مرقس صاحب الانجيل، وبطاركتها يعتبرون أنفسهم خلفاء له، ورئيسها يرأس الكرازة المرقسية في مصر وأثيوبيا ومعظم مناطق أفريقيا.

الثانية: الأرثوذكسية السريانية التي يرأسها السريان، ويتبعها أكثر مسيحي آسيا.

الثالثة: الأرثوذكسية الأرمنية، يتفقون مع الكنيستين السابقتين في القول بالطبيعة الواحدة للمسيح، إلا أنهم يختلفون عنهما في بعض التقاليد والطقوس، ولهم بطاركة يرأسونهم، ولا يندمجون مع النوعين السابقين، ولخص هذا المذهب صاحب كتاب خلاصة تاريخ المسيحية في مصر، هذا المذهب بقوله: "إن كنيستنا المستقيمة الرأي ومعها الكنائس الحبشية والأرمينية والسريانية الأرثوذكسية تعتقد أن الله ذات مثلثة الأقانيم"(١).

---

(١) الأسفار المقدسة، ص: ١٠٨ . ١١٠.

وكنائس الغرب تحت قيادة كنيسة روما، "وتسمى الكنائس الكاثوليكية، وتسمى بالمذهب الملكي أو الملكانية نسبة إلى الملك أو إمبراطور روما، وتنتشر الملكانية في سوريا ومصر وفلسطين والعراق والموصل، ولهم جالية كبيرة في الولايات المتحدة"[١]. ويتبع لها طوائف أخرى ليست كاعتقادها في طبيعة المسيح وهم: النسطورية نسبة إلى نسطور، الذي كان بطريركاً للقسطنطينية لمدة أربع سنين قبل خلعه ونفيه إلى مصر، وكان يرى أن مريم أم المسيح لم تلد الإله بل ولدت الإنسان فقط، ثم اتحد الإنسان بعد ولادته بالاقنوم الثاني وهو الابن، وليس ذلك الاتحاد حقيقي بل مجازي لأن الله منحه المحبة، فهو اتحاد في المشيئة عنده.

والمارونية نسبة إلى يوحنا مارون الذي أعلن سنة (٦٦٧م) أن المسيح ذو طبيعتين ولكنه ذو إرادة واحدة أو مشيئة واحدة، ولم يُقبل قوله، فاجتمع المجمع السادس بالقسطنطينية سنة (٦٨٠م) وقرر رفض نحلة مارون، ولعنه وتكفير كل من يذهب إليها، ونزلت بأتباعه المحن والاضطهادات، فلم يجدوا أمامهم إلا الفرار والاعتصام بمدن جبل لبنان،والكنيسة الكاثوليكية قربتهم إليها، فأعلنوا لها الطاعة والاتحاد معها سنة ١١٨٢م على أن يبقوا على رأيهم، ولهم بطريركهم الخاص بهم، وإن كان يقر بالرياسة لبابا روما[٢].

وحدث انشقاق كنسي عام ٨٦٩م وتكونت الكنيسة الشرقية (الأرثوذكسية) حين انفصلت الكنائس: القسطنطينية واليونانية وشقيقاتها عن الكنيسة اللاتينية وأصبحت هي الأخرى تعرف بالكنيسة الأرثوذكسية.

ثم انشقت عن الكنيسة الغربية الكنيسة البروتستانتية أى المحتجة، في القرن السادس عشر حين قام مارتن لوثر بثورة ضد الكنيسة الكاثوليكية أطلق عليها ثورة

---

(١) المسيحية – د.أحمد شلبي، ص: ١٩٤.

(٢) الأسفار المقدسة، ص: ١١٠، ١١١، الموسوعة الميسرة ٢ /١٣.

الإصلاح، اعترض فيها على بعض التعاليم، وأطلق على أتباعه لقب المحتجين البروتستانت Protest، وداخل كنيسة البروتستانت حدثت انقسامات وخرج منها طوائف عديدة وهكذا!! ومن عجب أن هذه الانقسامات كانت بسبب التناظر في آراء الذات لا بسبب النظر في أسس الدين ولا بسبب نصوص الدين نفسه؟[١].

وغلب على الغربية طابع التأليه، وعلى الشرقية طابع التوحيد، وعقدت الكنائس مجامع محلية خرمت بها الأخرى، وأصبح لكل كنيسة قرار لا يلزم الأخرى، فقرار أساقفة الشرق لا يلزم الغرب والعكس، ومن انتقل من الشرق إلى الغرب لا سلطان لكنيسته عليه وهكذا، وأساس النظام الكنسي في هذا ليس الاعتبارات الدينية بل المدنية، فنص مجمع القسطنطينية عام "٣٨١م" لا يتعدين الأساقفة الذين خارج إدارتهم على الكنائس التي خارج حدودهم، ووفقا للقانون: لأسقف الإسكندرية أن يسوس أمور مصر فقط، ولأساقفة الشرق أن يسوسوا الشرق فقط مع المحافظة على التقدم، الذي في قوانين نيقية لكنيسة الأنطاكيين، ولأساقفة ولاية آسيا أن يسوسوا أمور آسيا فقط، وللذين في البنطس أمور البنطس فقط، وللذين في تراكي أن يسوسوا أمور تراكي فقط، فلا يتعدين أساقفة خارج ولا يتهم لإقامة شرطونيات أو معاطاة أمور أخرى كنسية من دون أن يدعوا، والمحافظة على القانون السابق تدوينه في الإدارات تقتضي صريحا أن يسوس أحوال كل أبروشية مجمع الأبروشية كما هو محدد في نيقية، وأما كنائس الله التي بين الأمم البربرية - يعني خارج المملكة - فيجب أن تساس حسب عادة الآباء المرعية، وأما أسقف القسطنطينية فليكن له التقدم في الكرامة بعد أسقف رومية لكونها - أي القسطنطينية - رومية جديدة"، وعندما أصبحت القسطنطينية مما ثلة لروما في الرفعة المدنية بادروا إلى مساواتها في الرفعة الدينية، وقرر مجمع تورينو

---

(١) أضواء على المسيحية، ص: ١١٧ بتصرف.

بإيطاليا ٤٠١م أن يكون التقدم للأسقف الذي يبرهن على تقدم مدينة أسقفيته من الوجهة المدنية [١].

والصراع عنيف بين هذه المذاهب في الحاضر كما كان في الماضي، فقد اعتبر الصليبيون الكاثوليك المسيحيين المصريين كفرة وملاحدة ومنعوهم من الحج لأنهم أرثوذكس، وساد هذا الاتجاه جميع المذاهب المسيحية، فكتاب القسطاس البورتستنتي يهاجم الكاثوليكية بعنف وكتاب الصخرة الأرثوذكسية يفند تعاليم كل من الكاثوليكية والبورتستانتنية، ولو صدقنا هذه الكتب التي دونها قادة مسيحيون لانتهينا إلى نتيجة حاسمة هي بطلان كل هذه المذاهب والقضاء على المسيحية كلها[٢].



(١) تاريخ الكنيسة منسي، ص ٢٦٥– ٢٦٧.

(٢) المسيحية، أحمد شلبي، ص: ٢٤٢.

المبحث السادس

أوجدت شخصيات موحدة متعاقبة

المطالع لتاريخ المسيحية يجد غالبية من النصارى تنظر إلى عقائد الكنيسة – لا سيما التثليث والتجسد والكفارة والأقانيم – على أنها تعبيرات فلسفية بعيدة عن رسالة المسيح التي لم تكن إلا رسالة توحيدية، ورغم انحياز معظم المجامع للوثنية واضطهاد أريوس وأتباعه، فقد ظل من النصارى دعاة للتوحيد، واستمر العقلاء والمصلحون في كل جيل يعلنون فساد التثليث والتجسد، ومن أشهر الشخصيات الموحدة القديمة:

مقدونيوس: تأثر بآراء آريوس ورقى كرسي البطريركية بالقسطنطينية، كان يقول: إن عيسى عبد مخلوق وإنسان نبي؛ رسول الله كسائر الأنبياء، وعيسى هو روح القدس، وكلمة الله، وروح القدس والكلمة مخلوقتان، عقد مجمع القسطنطينية سنة ٣٨١م من أجله وقرر حرمانه وطرده وعزله.

أوريجانوس: أعلن أن الله لا يدركه الفهم، وهو أعلى من أن تكون أوصافه شبيهة بالإنسان، وأن الله لا يجزأ ولا يجسد ولا يحصر، فحكم عليه بالحرمان، وحرقت كتبه وطرد هو وأتباعه.

نسطور: كان ينكر ألوهية المسيح ويقرر أن المسيح إنسان كسائر الناس مملوء بالبركة.

يوزيبيوس النيقوميدي أسقف بيروت نقل لنيقوميديا عاصمة الإمبراطورية الشرقية، وكان من أتباع لوسيان الأنطاكي ومن أصدقاء آريوس. أما أشهر الموحدين من رجال الدين والفكر المتأخرين:

ميخائيل سيرفيتوس: طبيب أسباني تأثر بحركة الإصلاح البروتستانتية، أعلن بطلان عقيدة التثليث ورفض ألوهية المسيح، كان يسمي الثالوث بـ" الوحش الشيطاني ذي الرؤوس الثلاثة!"، اتهمته الكنيسة بالهرطقة واعتقلته ثم أعدمته حرقا حياً سنة (١٥٥٣ م) ، قال في كتابه "أخطاء التثليث": "إن أفكاراً مثل الثالوث والجوهر وما إلى ذلك إنما هي اختراعات فلسفي، لا تعرف عنها الأسفار شيئاً".

جون بيدل البريطاني (١٦٢٥– ١٦٦٢)**:** أب لمذهب التوحيد في إنجلترا، نشر رسائله التوحيدية بالبراهين المنطقية للتدليل على بطلان إلهية المسيح والروح القدس، وتفرد الله وحده بالإلهية والربوبية، تعرض هو وأتباعه لاضطهاد شديد، سجن عدة مرات، وتوفي بالسجن، أثرت أفكاره في الكثيرين ومن أشهرهم: ميلتون وإسحاق نيوتن عالم الفيزياء الشهير، وعالم الاجتماع جون لوك.

القس البريطاني توماس إيملين (١٦٦٣ . ١٧٤١)**:** نشر كتابا عنوانه: "بحث متواضع حول رواية الكتاب المقدس" بيَّن فيه بطلان القول بإلهية المسيح وبطلان تساويه مع الآب، قبض عليه واتهم بالهرطقة ونفي من بريطانيا، لم يتوقف عن دعوته، ورسائله من أقوى وأحسن ما كتب في هذا، آمن بدعوته عدد لا يستهان به من القساوسة البريسبيتاريين Presbyterians.

القس الأمريكي ويليام إيليري تشانينغ (١٧٨٠–١٨٤٢)**:** أرسى دعائم الكنيسة التوحيدية في أمريكا وبريطانيا، يربو عدد أتباعها على مائة وخمسين ألفا على الأقل، مواعظه مؤثرة وخطبه قوية ومحاضراته قيمة، هو ومساعده القس رالف والدو أيميرسن. وأفكار فرقة الموحدين هذه تسربت إلى قادة الحركة التي قامت بتأسيس مدرسة اللاهوت العصرية في جامعة هارفورد الشهيرة في سنة ١٨٦١م.

القس والعالم البريطاني جوزيف بريستلي (١٧٣٣- ١٨٠٤): كتابه "تاريخ ما لحق بالنصرانية من تحريفات"، أثار ثائرة أتباع الكنيسة الرسمية وأمروا بإحراقه، دحض التثليث وأبطل ألوهية المسيح في كتاب سماه "تاريخ يسوع المسيح"، اهتمامه بالكيمياء واكتشافه الأوكسجين، أكسباه شهرة عالمية، هاجر في آخر عمره إلى أمريكا وأنشأ هناك الكنيسة التوحيدية وتوفي في بوسطن.

البروفيسور البريطاني جون هيك أستاذ اللاهوت في جامعة برمنجهام، صاحب كتاب "أسطورة الله المتجسد"، المترجم للعربية ولعدة لغات، يضم مقالات له ولعدد من كبار أساتذة اللاهوت ومقارنة الأديان في بريطانيا، محورها جميعا ما أشار إليه في مقدمة كتابه حيث قال ما نصه:

The writers of this book are convinced that another major theological development is called for in this last part of the Twentieth Century. The need arises from growing knowledge of Christian origins and involves a recognition that Jesus was (as he is presented in Acts ٢,٢١) "A man approved by God " for a special role within the Divine purpose, and that the later conception of him as God Incarnate, The Second Person of the Holy Trinity living a human life, is a mythological or poetic way of expressing his significance for us.

وترجمته: إن كُتَّاب هذا الكتاب مقتنعين بأن هناك، في هذا الجزء الأخير من القرن العشرين، حاجة ماسة لتطور عقائدي كبير آخر. هذه الحاجة أوجدتها المعرفة المتزايدة لأصول المسيحية، تلك المعرفة التي أصبحت تستلزم الاعتراف بعيسى أنه كان (كما يصفه سفر أعمال الرسل: ٢/٢١): "رجل أيده الله" لأداء دور خاص ضمن الهدف الإلهي، وأن المفهوم المتأخر عن عيسى و الذي صار

يعتبره "الله المتجسد والشخص الثاني من الثالوث المقدس الذي عاش حياة إنسانية" ليس في الواقع إلا طريقة تعبير أسطورية وشعرية عما يعنيه عيسى المسيح بالنسبة إلينا[١].



(١) تاريخ وعقائد الكتاب المقدس، ص ٣٠٢-٣٠٦، طائفة الموحدين من المسيحيين، ص ٣٤-٣٦، الحوار الإسلامي المسيحي، ص: ٣٢٣ وما بعدها.

المبحث السابع

استمرار ظهور الفرق والطوائف الموحدة

الأريوسية رغم الاضهادات الكثيرة لها، كانت تظهر بأسماء متعددة، حاملة نفس فكرة إنكار ألوهية المسيح فالاسم مختلف، والفكرة واحدة، ولم ينقطع تواجد الموحدين، لكن ربما يضعف فترة ويظهر أخرى، وانتشرت الفرق الموحدة وظهرت بقوة عندما ضعف سلطان الكنسية واضمحل، وبدأت عقيدة التثليث بالاهتزاز، وهو ما عبر عنه لوثر بقوله: "إنه تعبير يفتقد إلى القوة، وإنه لم يوجد في الأسفار". وقال عنه فالبر في كتابه "تاريخ الموحدين": "إن كالفن قد أعلن قانون الإيمان الذي صدر عن مجمع نيقية وكان يناسبه أن يغنى كأغنية بدلاً من أن يحفظ كبيان عن العقيدة"، وعندما ألف كالفن كتابه "خلاصة العقيدة" (١٥٤١م) لم يذكر فيه التثليث إلا نادراً[١].

ومن الفرق النصرانية الموحدة في العصر الحديث التي انشقت عن الكنيسة، وأنكرت إلهية المسيح والتثليث ورفضت فكرة: الله الإنسان:

الموحدين أو التوحيديين The Unitarians: أسسها فاوستو باولو سوزيني (١٥٣٩-١٦٠٤) إيطالي اشتهر باسم سوسيانوس Socianus، نشر كتابا انتقد فيه عقائد الكنيسة من تثليث وتجسد وكفارة وغيرها، توصل للتوحيد ودعا إليه، وانتشرت تعاليمه وعرف مذهبه باسم "السوسيانية"، سُمى أتباعه بـ "الآريانيين الجدد - أتباع مذهب آريوس - بعد وفاته جمعت رسائله وكتاباته في كتاب واحد نشر في مدينة "روكوف" في بولندا، فأخذ اسم كتاب العقيدة الراكوفية، تعرض

(١) عقائد النصارى الموحدين، ص ٣٤-٣٧، الله واحد أم ثالوث، محمد مجدي مرجان، ص: ١٤٠.

أتباعه لاضطهاد وحشي منظم عام ١٦٣٨م وحرق الكثير منهم أحياء وحرموا حقوقهم المدنية وحرقت كتبهم، سنة ١٦٥٨م خُيِّروا بين قبول الكاثوليكية أو الذهاب للمنفى، فتوزَّعوا في أطراف أوروبا فئات منفصلة، لقيت السوسيانية رواجا عميقا في المجر ثم بولندا وترانسلفانيا – إقليم في رومانيا – وهولندا ثم بريطانيا وأمريكا[١].

ومع مطلع القرن العشرين تزايد الموحدون، وزاد نشاطهم وأثمر ما يقرب من أربعمائة كنيسة في بريطانيا ومستعمراتها، ومثلها في الولايات المتحدة إضافة إلى كليتين لاهوتيتين تعلمان التوحيد هما مانشستر وأكسفورد في بريطانيا، وكليتين في أمريكا، إحداهما في شيكاغو، والأخرى في بركلي في كاليفورنيا، وما يقرب من مائة وستين كنيسة أو كلية في المجر، وغير ذلك في كافة دول أوربا النصرانية[٢].

فرقة شهود يهْوَه Witnesses' Jeh المسماة بآريوسية العصر، وهم جماعة تستخدم الأفكار التي استخدمها آريوس قديمًا، ويستخدمون نفس المقاطع الكتابية، وينادون بأن المسيح ليس هو الله، بل رئيس الملائكة، وهو ليس واحد مع الله في الجوهر، لكنه مخلوق من مخلوقات الله، فهو بكر خلائق الله[٣].

وفي القرن الثامن عشر سمي هؤلاء الموحدون بالأريوسيين، ومنهم الدكتور تشارلز شاونسي (ت ١٧٨٧م) راعي كنيسة بوسطن، وكان يراسل الأريوسيين الإنجليز، ومنهم الدكتور صموئيل الذي نشر كتابه "عقيدة التثليث من الأسفار"

---

(١) تاريخ وعقائد الكتاب المقدس، ص: ٣٠٣.

(٢) طائفة الموحدين، ص ٤٥–٥٣، الله جل جلاله واحد أو ثلاثة ١ / ١٤٨.

(٣) الأناجيل الأربعة ورسائل بولس ويوحنا تنفي ألوهية المسيح كما ينفيها القرآن ١ / ١٦، ألوهية المسيح، ص ٤٥.

ووصل فيه إلى نتيجة: "أن الآب وحده هو الإله الاسمى، وأن المسيح أقل منه رتبة" ويصعب التميز بين أقواله وتعليم آريوس.

الجمعية التوحيدية لترقي المعرفة المسيحية وممارسة الفضيلة أسسها ثيوفليس ليندساي (ت ١٨١٨م) بعد أن اعتزل خدمة الكنيسة، وتحول إلى كنيسة موحدة هو وزميله توماس بلشام، وعين زميله في منصب كبير في كلية هاكني اللاهوتية، ثم بعد إقرار الحقوق المدينة كون الموحدون اتحاداً أسموه "الاتحاد البريطاني الأجنبي للتوحيد"(١).

وفي القرن التاسع عشر الميلادي أسس في مناطق متعددة عدد من الكنائس الموحدة اجتذبت شخصيات مهمة مثل وليم شاننج (ت ١٨٤٢) راعي كنيسة بوسطن، القائل:بأن الثلاثة أقانيم تتطلب ثلاثة جواهر، وبالتالي ثلاثة آلهة. وكان يقول: "إن نظام الكون يتطلب مصدراً واحداً للشرح والتعليل، لا ثلاثة، لذلك فإن عقيدة التثليث تفتقد أي قيمة دينية أو علمية"، ومثله القس جارد سباركس راعي كنيسة الموحدين في ليتمور والذي صار فيما بعد رئيساً لجامعة هارفرد، وتكونت عام ١٨٢٥م جمعية التوحيد الأمريكي، وفي منتصف هذا القرن أضحت مدينة ليدن الهولندية وجامعتها مركزاً للتوحيد، وكثر عدد الموحدين الذين عرفوا باللوثريين أو الإصلاحيين.

وأصدر ثمانية من علماء اللاهوت في بريطانيا كتابا أسموه "المسيح ليس ابن الله"، أكدوا فيه ما جاء في الكتاب الأول، وقالوا: "إن إمكانية تحول الإنسان إلى إله لم تعد بالشيء المعقول والمصدق به هذه الأيام".

---

(١) طائفة الموحدين، ص: ٥١-٥٢، الحوار الإسلامي المسيحي، ص: ٣٣٠ وما بعدها.

وفي مقابلة تلفزيونية جرت في إبريل ١٩٨٤م في محطة تلفزيون "لندن لنهاية الأسبوع" (London`s Weekend Television) ذكر الأسقف دافيد جنكنز – الذي يحتل المرتبة الرابعة بين تسعة وثلاثين أسقفاً يمثلون رأس هرم الكنيسة الأنجليكانية – أن ألوهية المسيح ليست حقيقة مسلماً بها، وقال: إنه لا يعتقد أن الولادة العذراوية وقيامة المسيح من الموت أحداث تاريخية (أي حقيقية).

وكان لكلماته صدى فقامت صحيفة "ديلي نيوز" باستطلاع رأي واحد وثلاثين أسقفاً حول ما قاله الأسقف دافيد، ثم نشرت نتيجة الاستطلاع في عددها الصادر في ١٩٨٤/٦/٢٥م، وكانت نتيجته أن "أصر ١١ فقط من الأساقفة على القول بأنه يجب على المسيحيين أن يعتبروا المسيح إلهاً وإنساناً معاً، بينما قال ١٩ منهم بأنه كان كافياً أن ينظر إلى المسيح باعتباره الوكيل الأعلى لله"، وتشكك ٩ أساقفة من فكرة قيامة المسيح من الموت، وقالوا بأنها سلسلة من التجارب أو المشاعر التي أقنعت أتباعه أنه كان حياً في وسطهم، وأكد ١٥ أسقفاً منهم "أن المعجزات المذكورة في العهد الجديد كانت إضافات ألحقت بقصة يسوع فيما بعد"، أي أنها لا تصلح في الدلالة على الألوهية[١].



(١) اختلافات في تراجم الكتاب المقدس، أحمد عبد الوهاب، ص: ١١٣-١١٥ أساقفة كنيسة إنجلترا وألوهية المسيح، أحمد ديدات، ص ٢٩-٣١، الله جل جلاله واحد أو ثلاثة ١ /١٤٨-١٥٠.

المبحث الثامن

اضطراب أهواء الأباطرة وتلاعبهم بعقيدة النصارى

تدخل حكام الرومان في شؤون الكنيسة النصرانية، ولا تكاد تجد إمبراطورا منذ القرن الرابع الميلادي وما بعده حتى القرن الخامس عشر، إلا وله تدخل في الكنيسة وشؤونها الخاصة، وهذا جعلهم يواجهون مشكلة وصاية الأباطرة على الديانة وتعاليمها، فصارت بمثابة ألعوبة في أيديهم فسيِّروا عقيدة النصارى وفق أهوائهم، واضطربت ميولهم بين تأييد أصحاب العقائد المتفقة مع وثنيتهم، وبين ما يحقق أهداف الإمبراطورية ويجنبها الانقسام، فنصروا ما اتفق مع أهوائهم، وإذا ظهرت دعوة إلى تعاليم لا يميلون إليها طلبوا عقد مجمع، وأوعزوا بطرد ولعن من لا يرغبون فيه، وأيدوا ما يحقق أهدافهم الشخصية والسياسية.

وترجع جل المصائب التي لحقت بعقيدة النصارى وحولتها من التوحيد إلى التثليث، إلى تدخل أباطرة الرومان، وفي مقدمتهم قسطنطين فموقعة خريسو بوليس فصلت الخلاف بينه وبين ليكينيوس (١٨ أيلول ٣٢٤م)، ولما ذهب إلى نقوميديا بعد أن هزم ليسنيوس، وسمع بالخلاف بين أريوس والإسكندر، أرسل إليهما رسالة شخصية يدعوهما فيها أن يتخلقا بهدوء الفلاسفة، وأن يوفقا بين آرائهما المختلفة في سلام، فإن لم يفعلا فلا أقل من أن يخفيا جدلهما عن آذان الجماهير، ويكشف هذا الخطاب، الذي نقله يوسبيوس، عن قلة اهتمام قسطنطين بعلوم الدين، وعن الهدف السياسي الذي كان يبتغيه من سياسته الدينية:

"لقد اقترحت أن أرّد جميع آراء الناس في الله إلى صورة واحد، لأني قوي الاعتقاد بأني إذا استطعت أن أوحد آراءهم في هذا الموضوع سهل علي كثيراً تصريف الشئون العامة. ولكني مع الأسف الشديد أسمع أن بينكما من الخلاف

أكثر مما كان قائماً في أفريقية من وقت قريب. ويبدو لي أن سبب هذا الخلاف بينكما صغير تافه غير جدير بأن يثير هذا النزاع الشديد. فأنت يا ألكسندر تريد أن تعرف رأي قساوتك في إحدى النقاط القانونية، في جزءٍ من سؤال هو في حد ذاته عديم الأهمية؛ وأما أنت يا أريوس فقد كان الواجب عليك، إذا كانت لديك أفكار من هذا القبيل، أن تظل صامتاً... ولم يكن ثمة حاجة إلى إثارة هذه المسائل أمام الجماهير... لأنها مسائل لا يثيرها إلا مَن ليس لديهم عمل يشغلون به أنفسهم، ولا يرجى منها إلا أن تزيد عقول الناس حدة... تلك أعمال سخيفة بالأطفال العديمي التجربة لا برجال الدين أو العقلاء من الناس".

وترأسه مجمع نيقية تدل على متابعته للأحداث، وربما خشي أن تثير قلاقل في الإمبراطورية وعواصمها الرئيسة (روما، الإسكندرية، القسطنطينية)، بدليل أنه أهمل نزاعهما ولم يعره اهتماما أول الأمر؛ لظنه أنه لا يشكل خطورة على ملكه، أو أنه خلاف وحوار لفظي يقبل عليه الناس أو ينصرفون عنه، ولما استشعر الخطر تدخل لحل الخلاف وجمع الأساقفة وعقد المؤتمر يقول يوسبيوس إنه كان يستمع بصبر عظيم إلى المناقشات، ويهدئ من عنف الجماعات المتنازعة، ويشترك في المناقشات بنفسه[١].

واعتناقه المسيحية حركة أملتها عليه نظرته السياسية، فالمسيحية عنده كانت وسيلة لا غاية، لأنه كان يستخدم سياسة التوازن، يقول ول ديورانت: ترى هل كان قسطنطين حين اعتنق المسيحية مخلصاً في عمله هذا؟ وهل أقدم عليه عن عقيدة دينية، أو هل كان ذلك العمل حركة بارعة أملتها عليه حكمته السياسية؟ أكبر الظن أن الرأي الأخير هو الصواب، ثم يقول: ويتضح من رسائله التي بعث بها إلى الأساقفة المسيحيين أنه لم يكن يعنى بالفروق اللاهوتية التي كانت تضطرب

(١) قصة الحضارة ١١ / ٣٩٢، ٣٩٣.

لها المسيحية، مع أنه لم يكن يتردد في القضاء على الانشقاق محافظة على وحدة الإمبراطوريّة، وكان أثناء حكمه كله يعامل الأساقفة على أنهم أعوانه السياسيون؛ فكان يستدعيهم، ويرأس مجالسهم، ويتعهد بتنفيذ ما تقره أغلبيتهم من آراء، ثم أضاف قائلاً: فكانت المسيحية عنده وسيلة لا غاية[١]، وبدليل أن رئيس المجمع أكد لقسطنطين أنه يعتبر كل شغب في داخل الكنيسة مساويا لحرب كاملة، كما أن قسطنطين تدخل مرارا لاقرار السلم والوفاق[٢].

ولما عزم على نقل عاصمته من روما إلى القسطنطينية، وأكثريتها تعتنق مذهب أريوس، أحضره وعفا عنه، وألغى قررات مجمع نيقيه، قال فاسيليف: عندما شرع قسطنطين في نقل عاصمته إلى الشرق، وأحس بالحاجة إلى استرضاء سكان القسم الشرقي من الامبراطورية لم يجد غضاضة في تغيير عقيدته أوميوله نحو المذهب الأريوسي، فاستدعى أريوس من منفاه سنة ٣٢٧م، وعقد له مجمع صور سنة ٣٣٤م، وألغى قرار الطرد.

واستبد الغضب به إزاء رفض أثناسيوس قبول عودة آريوس، فكتب له هذه الرسالة: " ليكن بيّناً لديك، أنه إذا ما ورد إلى علمنا أن أحدا ممن يرغبون في العودة إلى الكنيسة قد حيل بينه وبين ما يشتهي، لأبعثن على التو من يتولى عزلك إنفاذا لمشيئتي، ويقذف بكم إلى المنفى"[٣]، وكانت سياسته تجاه الفريقين منذ البداية يراسل إسكندر وآريوس، ويدعوهما للتصالح، وينتصر لمجمع نيقية، وينفي زعماء الآريوسية ثم يعيدهم ويقربهم، ثم ينتصر لليوسابيين، ثم يتصدى لهم ويطلق أثناسيوس، من أجل هذا فالمؤرخ جونز لم يتعد الحقيقة حين قال: "لو

---

(١) قصة الحضارة ١١ / ٣٨٧ باختصار.

(٢) كنيسة أنطاكية ١/ ٢٠١.

(٣) الدولة والكنيسة ٣ / ٦٥.

سألنا أي إمبراطور روماني عما يربط مصر بالإمبراطورية لأجاب .. القمح والنقود"[١].

ولما خلفه على العرش ابنه قسطنديوس أعلن نفسه آريوسيا، وفي سنة ٣٤٠م وما بعدها كان الخطر لا يزال جاثماً على الرومان "فاضطر قسطنديوس أن يضمن سلاماً في داخل مملكته ليجابه الخطر الخارجي، وتوفي غريغوريوس – أريوسي المذهب – أسقف الإسكندرية ومناظر أثناسيوس في الخامس والعشرين من حزيران سنة ٣٤٥م فرأى قسطنديوس أن يعيد أثناسيوس إلى كرسيه فكتب إليه بذلك وألح بوجوب العودة فامتثل الأسقف وقام إلى الشرق ووصل الإسكندرية في الحادي والعشرين من تشرين الأول سنة ٣٤٦م[٢].

ودعا قسطنديوس إلى مجمع ميلانو سنة ٣٥٥م, وطلب من الأساقفة إصدار حكم بخلع إثناسيوس، ووقعت الأغلبية على ما أراد، كما دعا إلى مجمعين في نفس الوقت أحدهما في تركيا والآخر في إيطاليا سنة ٣٥٩م، وأمر المشرفين على مجمع إيطاليا بإرغام المجتمعين على التوقيع على قرار المجمع الذي يوافق نوعاً ما مذهب الأريوسيين المعتدلين. واستخدم قوته من أجل إرغام المجتمعين في تركيا على التوقيع، ثم جاء الإمبراطور ثيودوسيوس وأظهر – ميوله ضد الآريوسية– فدعا إلى مجمع القسطنطينية سنة ٣٨١م، الذي قرر العودة إلى قانون الإيمان النيقاوي، وزادوا عليه: ألوهية الروح القدس، واعتبار الآريوسية ضد القانون الروماني، وهو المذهب الذي عليه غالبية النصارى إلى الآن.

قنسطانطيوس فرض الأريوسية على المناطق التي كان يحكمها، وبعد وفاة أخيه قسطنطين عام ٣٥٠م، فرضها على جميع أنحاء الإمبراطورية، وفي عام

---

(١) الدولة والكنيسة ٣ / ٦٣٢، ٦٤١.

(٢) كنيسة أنطاكية ١/ ٢٢٣.

٣٦١م وضع الأريوسيون صيغة جديدة للأمانة، في مجمع إنطاكية جاء فيها: "الابن غريب عن أبيه، ومختلف عنه في الجوهر والمشيئة"، وعقدوا مجمعاً في القسطنطينية وضعوا فيه سبعة عشر قانوناً مخالفاً لما صدر عن مجمع نيقية، وبعد وفاته انهار بناء الأريوسيين.

ولما توفي قسطنطين الثاني خلفه جوليان يوليانوس عام ٣٦١ عادى الآريوسية وأرجع الأساقفة المنفيين إلى كراسيهم، فأعاد أثناسيوس وأساقفته إلى أعمالهم ولم يكن ذلك اقتناعا بعدالة قضيتهم، ولكن تطبيق سياسة " فرق تسد" فقد كان غرضه أن يقاوم المسيحيون بعضهم فتحل عرى الوحدة المسيحية، ولم يمض على ذلك قليل وقت، ثم افتتح موسمًا جديدًا من الاضطهاد فأعاد الوثنية دينًا رسميًا للإمبراطورية، وجاهر بعبادة الأصنام فأغلق الكنائس ونهب أوانيها، وسلّمها للوثنيين وفتح معابدهم وجاهر بتجديد عبادة الأوثان وقدم بنفسه القرابين لها، وأصدر عام ٣٦٢م مرسومًا ألغى به مرسوم ميلانو الذي منح الحرية الدينية للمسيحيين وحظر التعليم عليهم(١).

ومن بعده يوبيانوس ٣٦٣م، أكمل ما بدأه سلفه، وعادى الأريوسيين، وفرض عقيدته الوثنية، وقال مخاطباً شعبه: "إذا أردتم أن أكون امبراطوركم كونوا مسيحيين مثلي" وحرم مذهب الأريوسيين، وتبنى قرارات نيقية، وطلب من أثناسيوس أن يكتب له عن حقيقة الدين المسيحي الذي أجبر الناس عليه قبل أن يقف على حقيقته، فكتب إليه: إننا نحرر إليك هذه الرسالة لندعوك إلى القيام بإضاءة أذهان الشعب بنور السيد المسيح.. والقضاء على هرطقة الآريوسيين الذين طردناهم حتى ننال الخلاص بصلواتك، ثم كتب إليه ثانية أن يوقفه على حقيقة الدين المسيحي والعقيدة النيقوية، فأجابه أثناسيوس إلى طلبه وشرح له

(١) طائفة الموحدين، ص: ٣١ بتصرف.

العقيدة الأرثوذكسية، ومن عجب أن ترى يوبيانوس يعتنق عقيدة يجهلها وبعد أن يقاتل في سبيلها يرجع ليتعلمها[١].

ومجمع القسطنطينية ٣٨١م عقد بأمر الإمبراطور ثاؤديوس الكبير، ومجمع أفسس سنة ٤٣١م، انعقد بأمر الإمبراطور ثيودوسيوس (أوثاديوس) الصغير[٢]، وكان لهما ما بعدهما من أحداث سيثت الإشارة إلى معظمها من انفصال الكنيسة والاختلاف في طبيعة المسيح .. إلخ.

وباحتضان الأباطرة للكنيسة، تعرَّضت للاختناق والفناء، وأصبح تنفيذ قانونها واستدعاء المجالس العامة وتنفيذ القرارت وتعيين الأساقفة، والاختصاص الأعلى للمحاكم الروحية، والقول الفصل في المشاكل الجدلية، الناشئة حول العقائد، حقوقا طالبت بها الدولة الرومانية، وأصرت على انتزاعها من السلطات الدينية، وعلق على ما سبق ذكره سقراط المؤرخ بقوله: " الأباطرة يروحون ويجيئون، والأساقفة من حولهم يتحلقون يطوفون"[٣]. وبهذا صارت النصرانية ألعوبة بيد أباطرة الرومان يسيرونها وفق أهوائهم ورغباتهم إلى أن سقطت الدولة الرومانية سنة (٤١٠ م).



(١) عقائد النصارى الموحدين، ص: ٦٦-٨٤، طائفة الموحدين ص: ٣٢، ٣٣، النصرانية من التوحيد إلى التثليث، ص ١٦٨-١٧٠.

(٢) تاريخ الأقباط زكي شنوده ١/١٧٨، ١٧٩، مجموعة الشرع الكنسي، ص: ٨٢-٩٠، الفرق والمذاهب، ص: ٨٥.

(٣) الدولة والكنيسة ٣ / ٦٣٩.

المبحث التاسع

الصراع المستمر بين الأريوسين والمثلثين

كانت آراء الأريوسية محور جدل القرن الرابع كله، وكانت الكنيسة تشبه سفينة في بحر خضم هائج صاخب تلطم أمواجه العاتية القاسية هذه السفينة، فتحطمت واختفت في ظلماته العميقة، ودامت عقيدة أريوس ودعوته تصارع الدعوة المكشوفة إلى تأليه المسيح وتسويته بالإله الواحد الصمد وكانت الحرب سجالاً بينهما، والخلاف بين الفريقين أدى إلى صراع، استخدمت فيه كل أشكال الصراع عدا الاحتكام إلى الانجيل، وحدثت مواجهات بينهما بدايتها حين قال قسطنطين للثلاثمائة والثمانية عشر غقب مجمع نيقية: قد سلطتكم اليوم على مملكتي، لتصنعوا ما ينبغي لكم أن تصنعوا مما فيه قوام الدين، وصلاح المؤمنين.

فقرروا ألوهية المسيح، وبدأت تفرض عقيدة التثليث على النصارى مؤيدة بسلطان قسطنطين، لاعنة من يقول بخلافها، ولاحقوا من حاول الاعتراض على معتقدهم، وكتموا كل نفَس حاول الاقتراب من التوحيد، وشهروا بهم في المجامع وكفروهم ولعنوهم وقتلوهم، حرصاً منهم على طمس معالم التوحيد، وصبغ النصرانية بالتثليث.

واستمر النزاع وتحول عن مساره اللاهوتي، إلى صراع شخصي مغلف بصورة كنسية، إما في جانب الأريوسية أو في جانب دعاة التثليث، يقول سقراط: " ومع مدائن الشرق كلها، راجت الفتن والمهاترة، وأمسى النظام إلى فوضى، وكل شأن إلى السيء سار"[١]، وهذا وصف عبّر عن الصراع الدائر بين الفريقين والذي أخذ شكلين:

(١) الدولة والكنيسة ٣/ ٦٥٣.

الأول: الصراع داخل الكنسية: عمل الطرفان على جذب عدد أكبر إليه خصوصا من الأساقفة ذوي النفوذ والتأثير، في المحيط الديني أو السياسي، فكتبت رسائل وخطابات عديدة وربما طويلة تشرح المواقف وتدعي أنها على الحق وغيرها على الباطل، مما أدى إلى تولد الأحزاب وإشاعة الاضطرابات، كما عملوا على مضايقة بعضهما بكل الطرق، وإن تدخل البعض لاصطلاح الوضع والتقريب بين المتصارعين رفض الآخر، ففي زمن قسطنطين رفض أثناسيوس حضور مجمع قيسارية ٣٣٣م، قال سقراط: "أراد الإمبراطور... توحيد الكنيسة، حيث إن أثناسيوس رفض المصالحة مع آريوس"[١].

ومعظم المضايقات أقرت في مجامع كنسية، مستخدمة أسلوب القطع والحرمان لكل مخالف، برز هذا في مجامع: نيقية، وصور، وميلان، وسرديكا، والقسطنطينية...إلخ، الآريسيون في مصر وخارجها أذاعوا في الجموع أن مجمع نيقية لم يتوخ العدالة في بحث آراء أريوس، وآريوس وصحبه تم نفيهم دون وجه حق، فاستمالوا إليهم عددا كبيرا، حتى قال يوسيبيوس: "ساد السلام في كل مكان إلا مصر وحدها، لا زال يتأجج فيها أوار جدل مستعر، أفسد على الإمبراطور سكينة مسرته"[٢]، والمثلثين واجهوهم بكل الأشكال، وحاربوهم محاربة الضد للضد.

وكان كلما قام قس على كنيسة لا يرضى عنه الفريق الآخر سعت الوشاية ووصلت إلى الحكام والأمراء، ووصل الأمر بهم أن وضعوا حراساً على أبواب الإسكندرية لكي لا يدخلها إثناسيوس، وإذا رجع إلى كرسيه قطع رأسه، وكثير من النصارى وخاصة القساوسة اختبأوا في البراري والقفار فرارا من الاضطهاد، واتهم بعضهم بعضا بالزنا والدسائس، وكلما علا فريق ورضي عنه إمبراطور عمل على

(١) الدولة والكنيسة ٣/ ٦٤١.

(٢) الدولة والكنيسة ٣/ ٦٣.

عزل الآخر، وكاتبوا الحكام والولاة بأن ما يحدث من وقائع أو يتخذ من إجراءات داخل الكنيسة وخارجها ما هي إلا مؤامرات، وربما رأى بعضهم المجامع شراكا تنصب بمهارة له ولكنيسته أو معتقده(١).

وربما تجاوز هذا إلى سلاطة اللسان وقسوته، فأثناسيوس وصف الآريوسيين بقوله:" شياطين، ودجالين، ومجانين، ويهوداً، ومشركين، وكفرة، منكرين للذات العلية، وكلاباً، وذئاباً، وأسوداً ضارية، وأرانب، وحرابي، وأفاع، وأحناش أسماك، وشلقا، وبعوضا، وخنافس، وعلقا"(٢).

الثاني: صراع السيف والتشريد: تم هذا عن طريق استخدام السياسة واللجوء إلى الحكام، أو تدخل الحكام أنفسهم دون طلب، وتعقب النصارى بعضهم بالقتل والتعذيب، كما تعقبوا كل فكرة تخالف مذهبهم، حتى عصر ما سُمي بعصر النهضة، والثورة على الكنيسة، وكانت صور الصراع مختلفة والهوة واسعة، فدخلوا الكنائس عنوة وقتلونهم أثناء صلواتهم في بعض الأحيان، فقتل من قتل وهرب من هرب، وداسوهم تحت أقدامهم، وفي بعض الأحيان قتل القساوسة مثلما حدث مع جورجيوس – الآريوسي – حين قتلوه وأحرقوا جسده وألقوا رماده في البحر، وعمل بعض الشعب مع الجند ليرشدوا على الهاربين ويدلوا عليهم وعلى أماكنهم، وانضم إليهم بعض اليهود والوثنيين، وفي بعض الأحيان هتكوا حرمة العذارى، وقبض على أربعين عذراء، وأحرقت الكتب، ونهبت حزائن الكنائس، وكانوا يدفنون المسيحيين أحياء تحت جنح الظلام.

كما انتقل العداء والصراع من القساوسة والحكام إلى أتباع المذاهب من الأهالي، ففي مصر كان هناك قس مصري اسمه يوليانوس آريوسي المذهب، قدم

(١) تاريخ الكنيسة، ص: ٢٣٤ – ٢٤٠، الدولة والكنيسة ٣/ ٦٩٢.

(٢) طائفة الموحدين، ص: ٣٠.

الإسكندرية ليكون على كرسيها الكنسي، وما كاد يصل إلى بيت أمه حتى انتشر حوله الأرثوذكس وحاولوا الفتك به لولا أن والي مصر أنقذه من أيديهم وأخرجه خارج مصر لينجو بحياته، ولما سار لوسيوس إلى مصر وخوفا من هياج الأرثوذكس عليه أرسل معه القيصر جيشا جرارا تحت قيادة ما جينوس[١].

وجاء في كتاب منهجية جمع السنة تحت عنوان مؤتمر كالسيدون عام ٤٥١م وما ترتب عليه[٢]: أتباع آريوس كانوا إلى القرن الخامس الميلادي يشكلون مجموعة كبيرة فقرر أنصار الثالوث عقد مؤتمر في كالسيدون بآسيا الصغرى لرد مقالة الآريوسية ولإعادة تأكيد ألوهية عيسى، لأن الآراء اختلفت وتضاربت، والصراعات احتدمت بين مختلف الفرق، ولم يقتنع جميع النصارى بألوهية عيسى (عليه السلام).

وفي عهد الإمبراطور الوثني يوليانوس، قوى وثنيو الإسكندرية، وانتعشت مدرستهم الفلسفية، وكان يحترم العجل أبيس احتراما عجيبا، فقتل أتباع آريوس، ودعم المثلثين على حساب الموحدين، وتعدى الوثنيون على كنيسة سيزاريوم وحرقوها في يوليه سنة ٣٦٦م.

ويذكر الأرثوذكس أن قسطنس أثار اضطهادا عنيفاً قال عنه القديس باسيليوس "إنني ظننته ابتدأ اضطهاد المسيح الدجال"، وبهذا عاشت طوائف النصارى صراعات طويلة فيما بينها، منذ أن أصبحت النصرانية دين الدولة الرومانية في القرن الرابع الميلادي، وبلغ الصراع بين الطرفين، بحيث أن الحملات الصليبية هاجمت ونهبت وحرقت القسطنطينية، قبل فتحها في القرن الخامس عشر، على الرغم من "انعقاد عدة مجامع في عهد إثناسيوس في أنقرة،

---

(١) تاريخ الكنيسة، ص: ١٨٠ بتصرف.

(٢) منهجية جمع السنة وجمع الأناجيل دراسة مقارنة، ص: ١٨٨، د. عزّية علي طه، بدون.

وانطاكية، وسرميوم، للتوفيق بينهما فلم تفلح جميعها، بل كانت تعمل على توسيع دائرة الخلاف بزيادة"(١).

ولما ظهر في ألمانيا مذهب الأناباست الموحد سحقته الكنيسة، ثم ظهرت جمعيات تحارب التثليث كـ "الحركة المضادة للتثليث"، تلتها" الحركة المعادية للتثليث" والتي ترأسها الطبيب المشهور جورجيو بندراثا عام ١٥٥٨م، وفي عام ١٦٥٨م صدر مرسوم طردت بمقتضاه جماعة موحدة في إيطاليا، وكان من رواد التوحيد يومذاك جون بيدل المسمي: "أبو التوحيد الإنجليزي"، الذي توصل من خلال دراسته إلى الشك في عقيدة التثليث، فجهر بذلك وسجن مرتين، ثم نفي إلى صقلية.

وفي عام ١٦٨٩م استثنى مرسوم ملكي الموحدين من قانون التسامح الديني، وذلك عائد لكثرتهم وتعاظم أثرهم، وهو ما عبر عنه بردنوفسكي في كتابه "ارتقاء الإنسان"، فقال: "كان العلماء في القرن السابع عشر يشعرون بالحرج من مبدأ التثليث"(٢).

ولعل أحداث التاريخ فسرت كيف انتشرت المسيحية المحرفة بحد السيف وآلات التعذيب، فبعد أن قُتِل ما يزيد عن ١٢ مليون من الآريسيين، أخفى من بقي منهم إيمانه ولعل هذا سر تخفي قسّيسي عمورية والموصل وحران المذكورون في قصة إسلام الصحابي الجليل سلمان الفارسي (ﷺ)، فربما كانوا أريسيين أو من دعاة مذهب التوحيد، ويفسر سرعة اعتناق أقباط مصر للإسلام بعد مجئ عمرو بن العاص (ﷺ)، فمعظم أقباط مصر كانوا آريسيين، والبربر كانوا من أتباع آريوس، وهذا يبين سرعة فتح عقبة بن نافع الشمال الأفريقي، أما الأندلس

---

(١) تاريخ الكنيسة، ص:١٦٥ – ١٧٠.

(٢) طائفة الموحدين، ص: ٤٧–٥١، دراسة عن التوراة والإنجيل، كامل سعفان، ص ٢٣٤.

فكانت آخر الأماكن الآريوسية في أوروبا، وكان جل أهلها آريسيين قبل أن يُولد رسول الله (ﷺ) عام ٥٨٦م اعتنق الملك الأسباني ريكاردو المذهب الكاثوليكي، وأمر بفرضه على الشعب بحد السيف، فقُتل أغلب الآريسيون من الأسبان والبرتغاليين، فأخفى من بقي منهم إسلامه.



المبحث العاشر
رأي علماء الإسلام في الأريوسية

اختلفت الآراء في الأريوسية بين كونهم موحدين توحيداً خالصا فأريوس يؤمن بالله الواحد الأحد، ويؤمن بالمسيح مخلوقا مجردا من اللاهوت، وهذا يكفي لا عتباره موحداً، وبين كون التوحيد عنده مخلوط بغيره، وعلق به مآخذ أدت إلى الاختلاف فيه إلى عدة وجهات:

الأولى: من أصحاب التوحيد المجرد: قال ابن حزم عن آريوس ومن قوله: التوحيد المجرد وأن عيسى (عليه السلام) عبد مخلوق، وأنه كلمة الله التي بها خلق السموات والأرض، وكان في زمن قسطنطين الأول باني القسطنطينية [١].

وقال الإمام الطحاوي: إن في رهط هرقل فرقة تعرف بالأروسية، توحد الله، وتعترف بعبودية المسيح له (ﷺ)، ولا تقول شيئا مما يقول النصارى في ربوبيته وتؤمن بنبوته، فإنها تمسك بدين المسيح مؤمنة بما في إنجيله، جاحدة لما يقوله النصارى سوى ذلك[٢].

أما الإمام ابن كثير فقال: وتفردت الفرقة المتابعة لعبد الله بن آريوس الذي ثبت على أن عيسى عبد من عباد الله، ورسول من رسله، فسكنوا البراري والبوادي، وبنوا الصوامع والديارات وقنعوا بالعيش الزهيد، ولم يخالطوا أولئك الملل والنحل[٣].

---

(١) الفصل في الملل والأهواء والنحل١/ ٤٧ علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الظاهري أبو محمد، مكتبة الخانجي – القاهرة.

(٢) شرح مشكل الآثار أبو جعفر أحمد بن محمد بن سلامة الطحاوي ٥/ ٢٣٢، تحقيق شعيب الأرنؤوط مؤسسة الرسالة، ١٤٠٨هـ – ١٩٨٧م . لبنان/ بيروت.

(٣) البداية والنهاية: ٢/١٠١.

ومن العلماء المعاصرين الدكتور محمد معروف الدواليبي والعلامة أبو الحسن الندوي حين قال: وأريوس هو الذي نادى بالتوحيد، والتمييز بين الخالق والمخلوق والأب والابن - على حد تعبير المسيحيين - فأثار نقاشاً حول الموضوع وكان الشغل الشغل في المجتمع المسيحي لعدة قرون، وآراؤه تتلخص في أنه ليس من شأن الإله الواحد أن يظهر على الأرض، لذلك هو ملأ السيد المسيح بالقوة والكلام الإلهي، وأن من صفات الله الأساسية الوحدانية والأبدية وأنه لم يخلق أحداً من ذاته رأساً، وأن الابن ليس هو الإله، بل هو مظهر لحكمة أمر الرب، وأن ألوهيته إضافية لا مطلقة[1]

الثانية: قريب من أهل الحق وينحو منحى أهل التصوف:

يقول شيخ الإسلام ابن تيمة: ولما نظرت في مقالات النصارى وجدت صنفا منهم يعرفون بالأريوسية يجردون توحيد الله ويعترفون بعبودية المسيح (عليه السلام) ولا يقولون فيه شيئا مما يقوله النصارى من ربوبية ولا بنوة خاصة ولا غيرهما، وهم متمسكون بإنجيل المسيح مقرون بما جاء به تلاميذه والحاملون عنه، فكانت هذه الطبقة قريبة من الحق مخالفة لبعضه في جحود نبوة محمد (ﷺ) ودفع ما جاء به من الكتاب والسنة[2].

ومن المعاصرين قال اللواء أحمد عبد الوهاب: في حقيقة الواقع التاريخي نجد أنه بمرور الزمن، صارت الشقة بين الآريوسية والتثليث أكثر اتساعا، بينما قل الفرق بينها وبين التوحيد حتى صارا في النهاية شيئا واحدا[3].

---

(١) السيرة النبوية للندوي، ص: ٣٠٥.

(٢) الجواب الصحيح ٤/ ٩٣.

(٣) طائفة الموحدين، ص: ١١.

وقال نهاد خياطة قال ج. لورتس: ويبدو أن آريوس ينحو منحى أهل التصوف في فهمه للعلاقة بين الإنسان والله عموما، وبين المسيح والله خصوصاً، فالمسيح بحسب هذه الرؤية، متواجد جوانيا تواحدا وثيقاً بالإرادة الإلهية، أدى بالله إلى اتخاذه ابنا له(١).

وعليه فربما طبقت الآريوسية الفلسفة اليونانية على المسيحية التي تحوي أنصاف وأشباه آلهة أيضًا، واعتبار الآريوسية ذات عقيدة شبيهة بالتوحيد في الدين الإسلامي تبدو غير دقيقة، لأنها اعترفت بألوهة المسيح حين اعتبرت الكلمة إلها مخلوقا ليس من جوهر الآب، وكائنا وسيطا بين الله الإله الحقيقى وبين العالم المخلوق، هذا الكائن الوسيط والأدنى لا يمكن أن يكون مساو لله في الجوهر والأزلية، فمما ذكره المقريزي عنه قوله:كان الأب، إذ لم يكن الابن، ثم أحدث الابن، فصارت كلمة له، فهو محدث مخلوق، فوض إليه الأب كل شيء، فخلق الابن المسمى "بالكلمة" كل شيء من السماوات والأرض وما فيها، فكان هو الخالق بما أعطاه الأب، ثم إن تلك الكلمة تجسدت من مريم وروح القدس، فصار ذلك مسيحاً، فإذا المسيح معنيان: كلمة وجسد، وهما جميعاً مخلوقان(٢).

ونفى آريوس الألوهية عن المسيح لا تجعلنا نؤكد أن نظرته تتفق مع نظرة القرآن إلى المسيح (عليه السلام)، فلا زال الكثير من الآريوسية مطموساً عنا وأحداث التاريخ نالها الكثير من التحريف، لذا فالتوسط في الحكم أولى وأسلم، والأريوسية فيما تنفي أن يكون الميسح ابن الله، أو أن يكون الله أباً له، لا تنفي أن يكون الله قد "تبناه" أو "اتخذه ولدا"، والقرآن رفض هذه الدعوى في عدد من الآيات منها:

---

(١) الفرق والمذاهب المسيحية، ص ٨٢ مرجع سابق.

(٢) تاريخ الأقباط للمقريزي، ص: ٥٥.

قوله تعالى: ﴿ قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ هُوَ الْغَنِيُّ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ إِنْ عِندَكُم مِّن سُلْطَانٍ بِهَٰذَا أَتَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ (٦٨) ﴾ [يونس: ٦٨]، وقوله تعالى: ﴿ وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَلَمْ يَكُن لَّهُ وَلِيٌّ مِّنَ الذُّلِّ وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًا (١١١) ﴾ [الإسراء: ١١١]، وقوله سبحانه: ﴿ وَيُنذِرَ الَّذِينَ قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا (٤) ﴾ [الكهف: ٤] .



الخاتمة

انتهى هذا البحث بحمد الله وتوفيقه وتبين من خلاله:

- أن مسيحية اليوم لم تنبثق دفعة واحدة من عيسى (عليه السلام) كما يتخيل البعض، وإنما عبر تاريخ من الصراعات والإضافات المتناقضة المتتالية، التي تم نسجها عبر المجامع على مر التاريخ.
- الآريوسية تعتبر من أوائل التحديات التي تواجه المسيحية، وأعظم جدل لاهوتي في تاريخها، فخلاف أريوس مع معارضيه كان حول أهم ركن في العقيدة ألا وهو توحيد الخالق.
- فهم دوافع الآريوسية والأحداث المرتبطة بها لا يمكن دون ربطها بظروف سياسة الإمبراطورية الرومانية الغربية، التي سيرت المجامع الكنسية وغيرها متمشية مع مطامع وأهواء الزعماء والملوك.
- دراسة فكر أريوس وجهاده هو وأتباعه يبين فداحة ما ارتكبه أكثرية رجال الدين الذين آثروا مناصبهم ودنياهم، فباعوا دينهم بدنياهم، وحرفوا الكلم من بعد مواضعه عمدا، كما تبين المعاناة التي يعيشها دعاة الاصلاح وأصحاب المذهب الحق في كل زمان.
- يرى البعض أن جماعة شهود يهوه وغيرها ككنيسة الرسليين نوع جديد من الآريوسية، لرفضهم ألوهة المسيح الكاملة، ورفض عقيدة الثالوث برمتها وفكرة نصف الإله.
- هذه الدراسة تعتبر دعوة لدراسات للفرق النصرانية التي دعت إلى التوحيد ورفضت التثليث.



المصادر والمراجع

١. الأدلة الكتابية على فساد النصرانية، د. أحمد حجازي السقا، دار الفضيلة . القاهرة، بدون.
٢. الأسفار المقدسة، د. على عبد الواحد وافي، دار نهضة مصر ط الأولى ١٣٨٤هـ/ ١٩٦٤م.
٣. الإسلام، روجيه غارودي، ترجمة وجيه أسعد، ط الثانية بيروت ١٩٩٧م.
٤. أضواء على المسيحية د. رؤف شلبي، مؤسسة الكتب العصرية صيدا . بيروت ١٩٧٥م.
٥. تاج العروس من جواهر القاموس، محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني، الزَّبيدي، دار الهداية.
٦. تاريخ الأقباط المعروف بالقول الإبريزي للعلامة المقريزي، تحقيق د. عبد المجيد دياب، ط دار الفضيلة بدون.
٧. تاريخ الأقباط، زكي شنودة، جمعية التوفيق القبطية لجنة التاريخ والنشر ط الأولى ١٩٦٢م مطبعة فايقة محفوظ . حدائق القبة . القاهرة.
٨. تاريخ الفكر المسيحي، القس حنا جرجس الخضري ط دار الثقافة ١٩٨١م . القاهرة.
٩. تاريخ الكنيسة، الشماس منسي القمص مطبعة اليقظة، الفجالة مصر، ط الأولى سنة ١٩٢٤م.
١٠. تاريخ اليعقوبي، أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر بن وهب بن واضح المعروف باليعقوبي، تحيق عبد الأمير مهنا، شركة الأعلمي للمطبوعات، بيروت – لبنان، ط الأولى ١٤٣١هـ / ٢٠٢١م.
١١. تاريخ وعقائد الكتاب المقدس، دار صفحات للدراسات والنشر – دمشق، ط الأولى ٢٠٠٩م .

١٢. الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، شيخ الإسلام ابن تيمية، مطبعة المدني، المؤسسة السعودية بمصر سنة ١٣٨٣هـ.
١٣. الحوار الإسلامي المسيحي، بسام داود عجك، دار قتيبة ط الأولى ١٤١٨هـ / ١٩٩م
١٤. الدولة والكنيسة د. رأفت عبد الحميد، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع.
١٥. راجع محاضرات في النصرانية، الإمام محمد أبوزهرة، ط دار الفكر العربي، ط الثالثة.
١٦. سنن النسائي الكبرى أحمد بن شعيب أبو عبد الرحمن النسائي، دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١١هـ/ ١٩٩١م، تحقيق: د.عبد الغفار سليمان البنداري.
١٧. سوسنة سليمان في أصول العقائد والأديان، نوفل أفندي نوفل، طبع المطبعة الأمريكية، بيروت عام ١٩٢٢.
١٨. السيرة النبوية السيد أبي الحسن علي الحسن الندوي، دار الشروق جدة الطبعة الثامنة.
١٩. شرح مشكل الآثار أبو جعفر أحمد بن محمد بن سلامة الطحاوي، تحقيق شعيب الأرنؤوط مؤسسة الرسالة، ١٤٠٨هـ – ١٩٨٧م . لبنان/ بيروت.
٢٠. صحيح ابن حبان محمد بن حبان بن أحمد أبو حاتم التميمي البستي، مؤسسة الرسالة – بيروت، الطبعة الثانية، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٣م، تحقيق: شعيب الأرنؤوط.
٢١. صحيح البخاري، البخاري محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي، دار ابن كثير، اليمامة – بيروت، الطبعة الثالثة ١٤٠٧هـ / ١٩٨٧م، تحقيق: مصطفى ديب البغا.
٢٢. صحيح مسلم، أبو الحسين مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري النيسابوري، دار الجيل بيروت، دار الأفاق الجديدة . بيروت.

٢٣. طائفة الموحدين من المسيحيين عبر القرون مهندس أحمد عبد الوهاب، مكتبة وهبة ط الأولى ١٤٠٠هـ / ١٩٨٠م.
٢٤. طائفة الموحدين من المسيحيين عبر القرون مهندس أحمد عبد الوهاب، مكتبة وهبة ط الأولى ١٤٠٠هـ / ١٩٨٠م.
٢٥. عقائد النصارى الموحدين حسني يوسف الأطير، دار الأنصار، ط الأولى ١٤٠٥هـ ١٩٨٥م.
٢٦. الفرق والمذاهب المسيحية منذ البدايات حتى ظهور الإسلام، نهاد خياطة، ط دار الأوائل .
٢٧. الفصل في الملل والأهواء والنحل، علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الظاهري أبو محمد، مكتبة الخانجي – القاهرة.
٢٨. قاموس الكتاب المقدس، تأليف مجموعة من علماء النصارى، شركة compuraill.
٢٩. قصة الحضارة، ول وايرل ديورانت ترجمة محمد بدران، دار الجيل بيروت، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم بتونس.
٣٠. كنيسة انطاكية، أسد رستم، منشورات المكتبة البوليسية بدون تاريخ.
٣١. لسان العرب، محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري، دار صادر – بيروت الطبعة الأولى.
٣٢. مدخل إلى تاريخ الكنيسة، مجموعة الشرع الكنسي، بطريركية الأقباط الأرثوذكس، أسقفية الشباب . مركز تدريب الخدام، جمع حنانيا إلياس الحياة الكنسية، دار الجيل للطباعة ط الأولى يولية ٢٠٠١م.
٣٣. المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، أحمد بن محمد بن علي المقري الفيومي، المكتبة العلمية – بيروت.

٣٤. المعجم الكبير للطبراني سليمان بن أحمد بن أيوب أبو القاسم الطبراني، مكتبة العلوم والحكم – الموصل الطبعة الثانية ١٤٠٤ – ١٩٨٣تحقيق: حمدي بن عبدالمجيد السلفي.

٣٥. المعجم الوسيط، إبراهيم مصطفى . أحمد الزيات . حامد عبد القادر . محمد النجار، دار النشر: دار الدعوة، تحقيق / مجمع اللغة العربية.

٣٦. منهجية جمع السنة وجمع الأناجيل دراسة مقارنة، د. عزّية علي طه، بدون.

٣٧. الموجز في الأديان والمذاهب المعاصرة، د. ناصر بن عبدالله القفاري، وناصر بن عبد الكريم العقل، دار الصميعي الرياض، ط الأولى ١٤١٣هـ/ ١٩٩٢م.

٣٨. الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة، الندوة العالمية للشباب الإسلامي، إشراف وتخطيط ومراجعة: د. مانع بن حماد الجهني.

٣٩. النصرانية في الميزان محمد عزت الطهطاوي، ط دار القلم دمشق، الدار الشامية بيروت.

٤٠. النصرانية من التوحيد إلى التثليث، محمد أحمد الحاج، دار القلم . دمشق، الدار الشامية. بيروت ط الأولى ١٤١٣هـ/ ١٩٩٢م.

٤١. النصرانية والإسلام المستشار محمد عزت الطهطاوى مكتبة النور. القاهرة ١٩٨٧م، المسيحية د. أحمد شلبي، مكتبة النهضة المصرية . القاهرة، ط الثامنة.



فهرس الموضوعات



